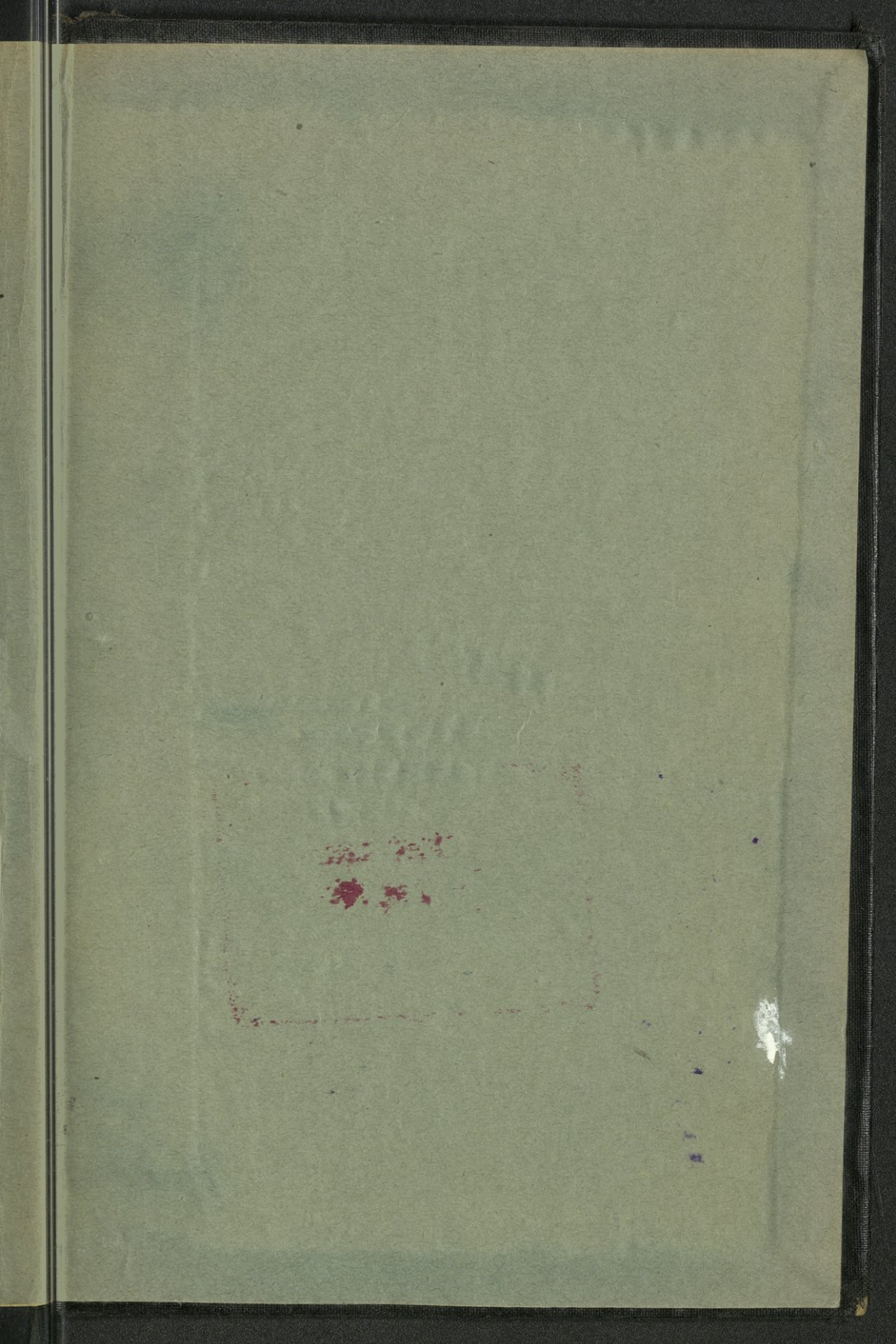
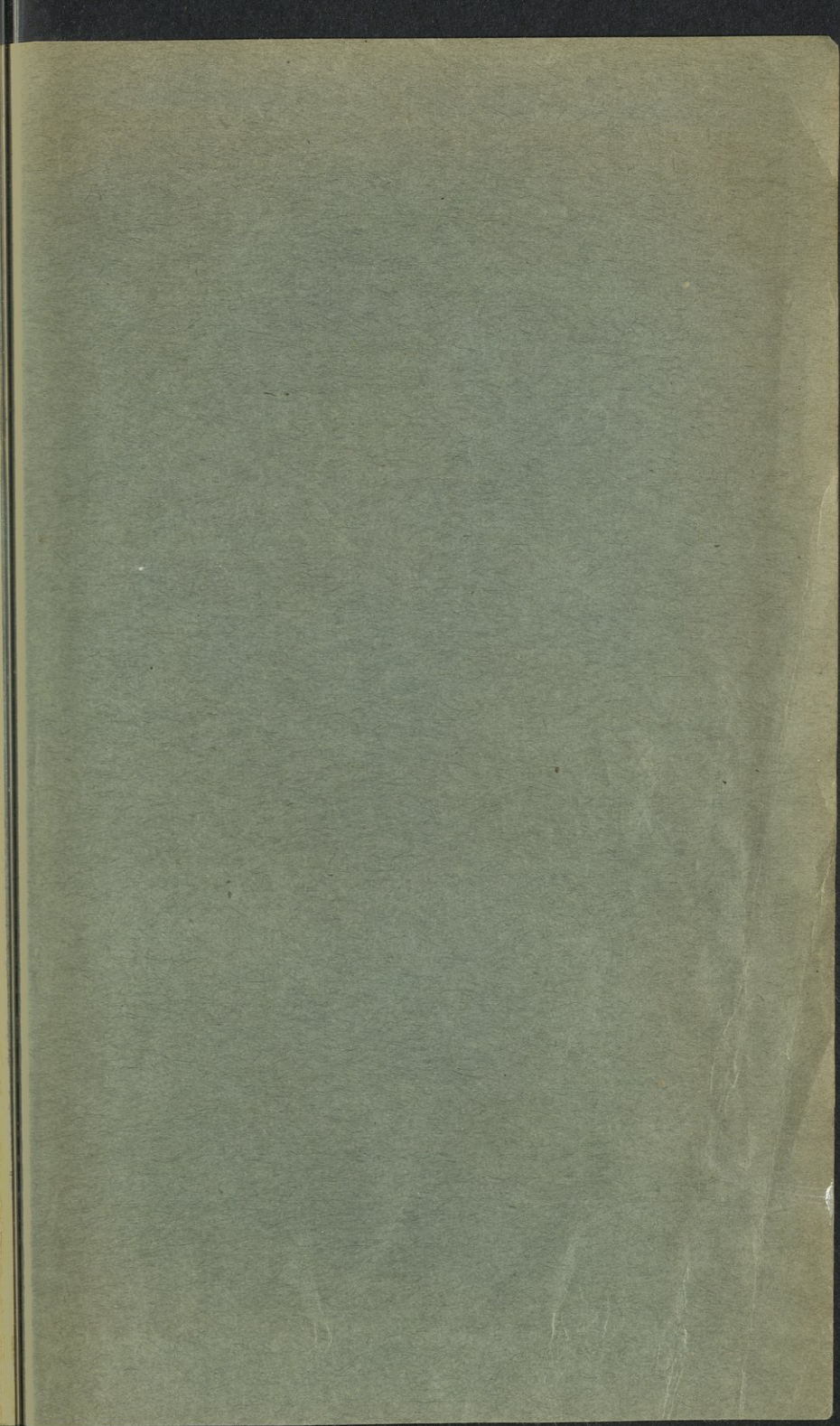
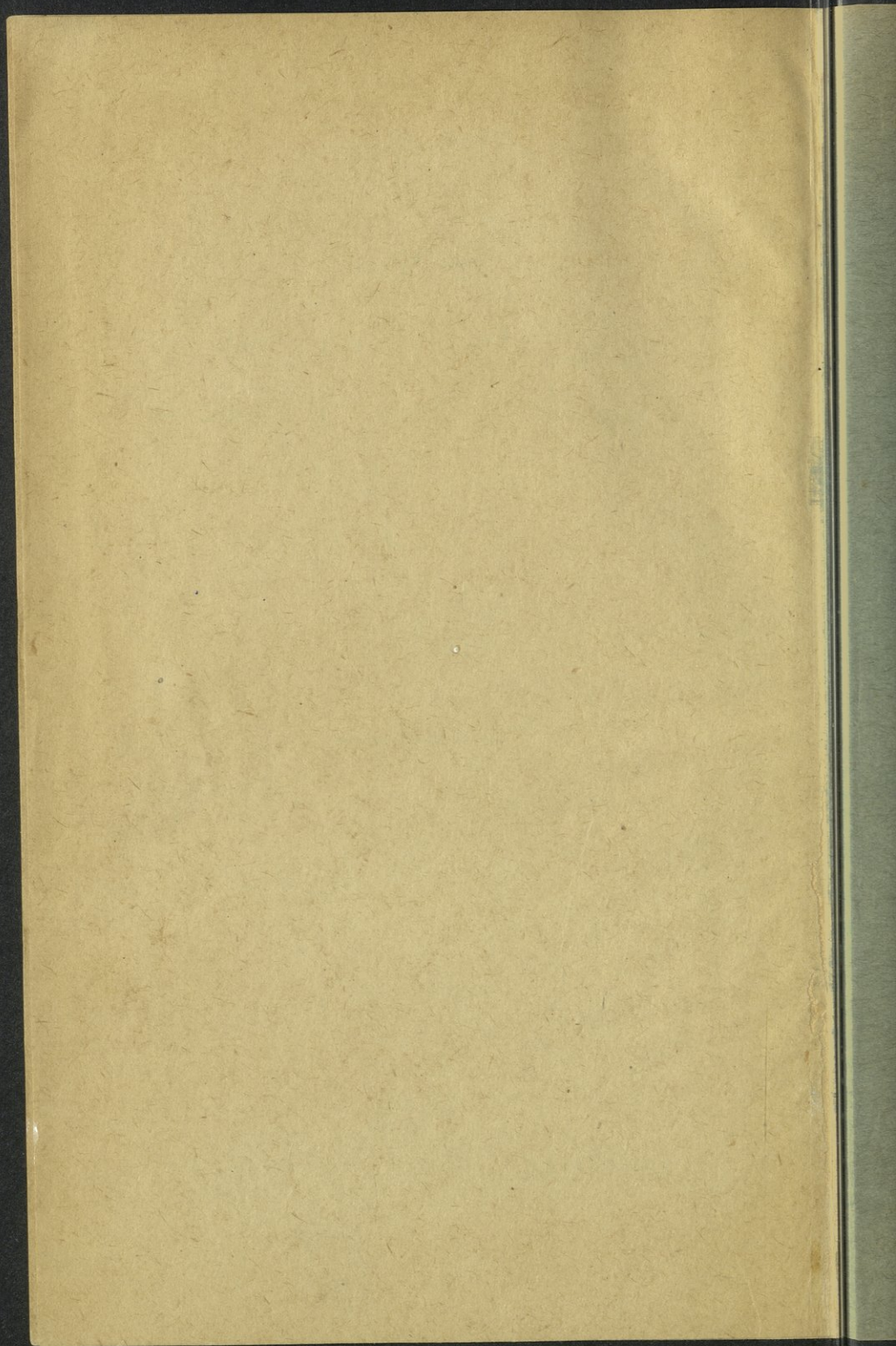
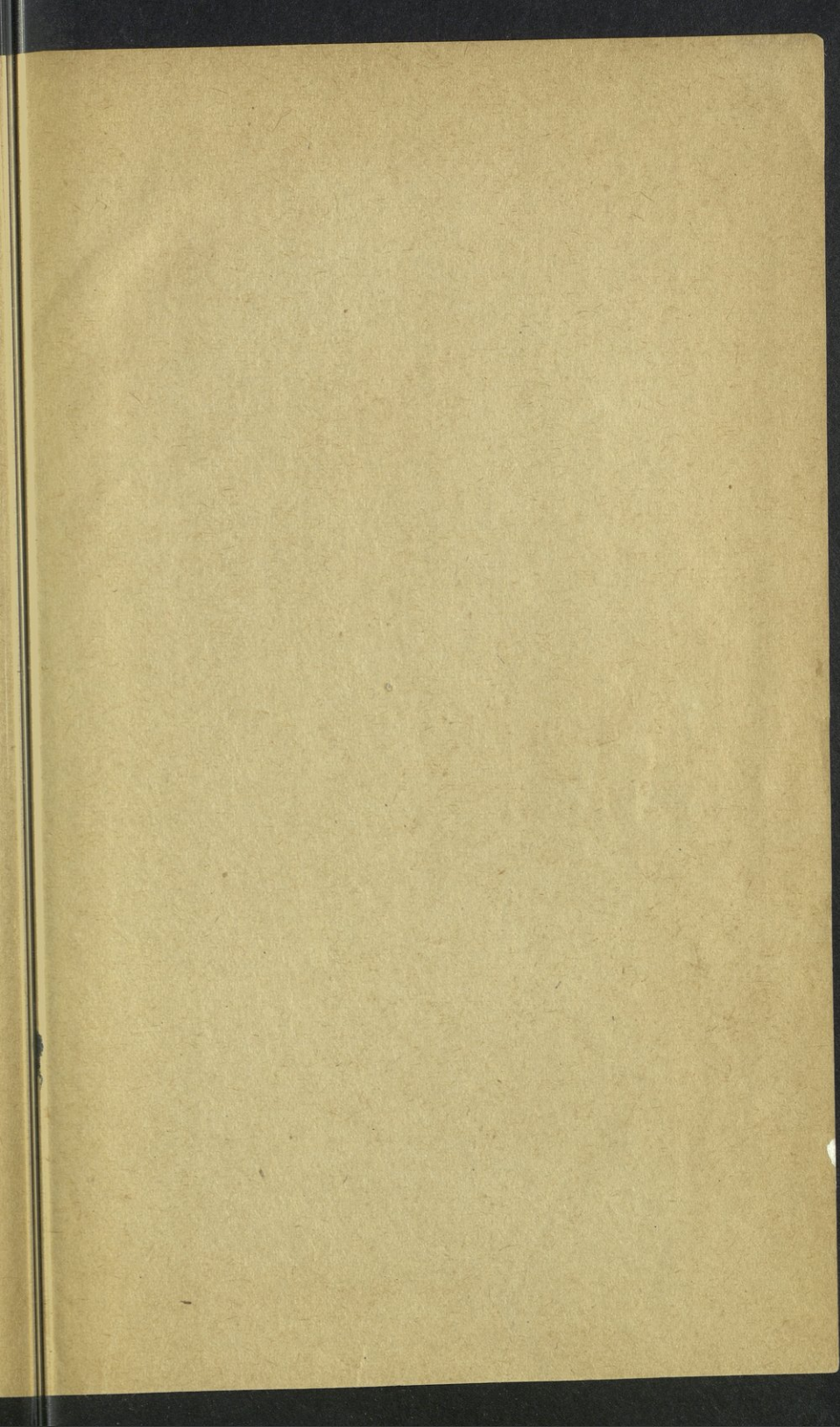




18.
703 *
4



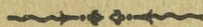




كتب المؤلف

ابليس يغني (مسرحيات عربية) دمشق ٩٤٣

في قصور الخلفاء (أقاصيص) بيروت ٩٤٤



تحت الطبع

لجوزيف بيديه

تريستان وايزو

من مصادر هذا الكتاب
عدا الروايات المذكورة فيه

G. Lanson: Histoire illustrée de la littérature
Française

A. Maurois : Cinq visages de l'Amour

E. Faguet : Amours d'hommes de lettres

J. Hytier : Les Romans de l'individu

843.08
M96nA
C.1

هدية أصدقاء الكتاب

صلاح الدين المجد

الى
مجلة الأديب الفراء

مع التحية

نساء عاشقات

١٤٥/٤/٢



منشورات أصدقاء الكتاب

١٩٤٥

الطبعة الأولى

مطبعة الترقى بدمشق

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الى القارئ

هؤلاء نساء عاشقات ، بلون الحب فعرفنه ، وقديماً
قالوا : لا يعرف الحب كالنساء . فمن أراد أن يجلو سره ،
ويدوق حلوه ومره ، ويدرك نفعه وضره ، ويعلم خيره
وشره ، ثم ينهج فيه نهجاً يبلغه الأمن والسلامة ، والراحة
والهناء ، فليقرأ أقاصيص النساء العاشقات ، وليأخذ منها
ما يحلوه ويطيب ؛ فهو لا بد واجد ما ينير له الطريق . لأنهن
يدركن من الحب ، برهف إحساسهن ، ورقة عاطفتن ،
وفرط حنانهن ، وغلبة ضعفهن ، مما لا يدركه الرجال .
ولأنك لتلمح في سير هؤلاء العاشقات ، ألواناً مزرکشة
من الحب . وللحب ألوان لا تعد ؛ لأنها متجددة تجدد
العواطف المنبجسة من القلب ، مختلفة كاختلاف الاحساسات
الصادرة عن الشعور . وما دامت العواطف البشرية تتدفق
وتتبجس ، جياشة زاخرة متباينة ، فأبشر بألوان من الحب
لا تنفد ولا تنتهي .

ومما يزيد في قيمة هذه الألوان التي تجدها في هذا
الكتاب ، أنها صوّرت بروايات خالديات كتبها عباقرة الأدب
الفرنسي ، في القرون الأربعة الخالية . ولإني لأنصح بقراءة

الروايات نفسها . ولعل كتابي هذا يغري المثقفين بنقلها إلى اللغة العربية .

وشأن آخر لهذه الصور ، ينتج عن أنها أخذت من الحياة . أعني أن مؤلفيها أحبوا أولاً ، ثم صوروا النساء اللواتي أحبوهن ، وما لاقوه في جهنم من ألم وفرح ، وعذاب ولذة . ثم وشوا بعض ما كتبوا ، بترويق الخيال وزر كشة الأحلام . ولذا تجد فيها مسحة من الواقعية جميلة ، وسنا متألقاً من الحلم طريف . وقد اضطرني ذلك إلى العناية بكشف أسرار هؤلاء الأدباء ، في حياتهم الخاصة ، وتبيان الصلات بين الواقع والخيال ، وإظهار النساء اللواتي أُنرن في أولئك المؤلفين ، ومدى هذا التأثير ، وما صدر عنه .

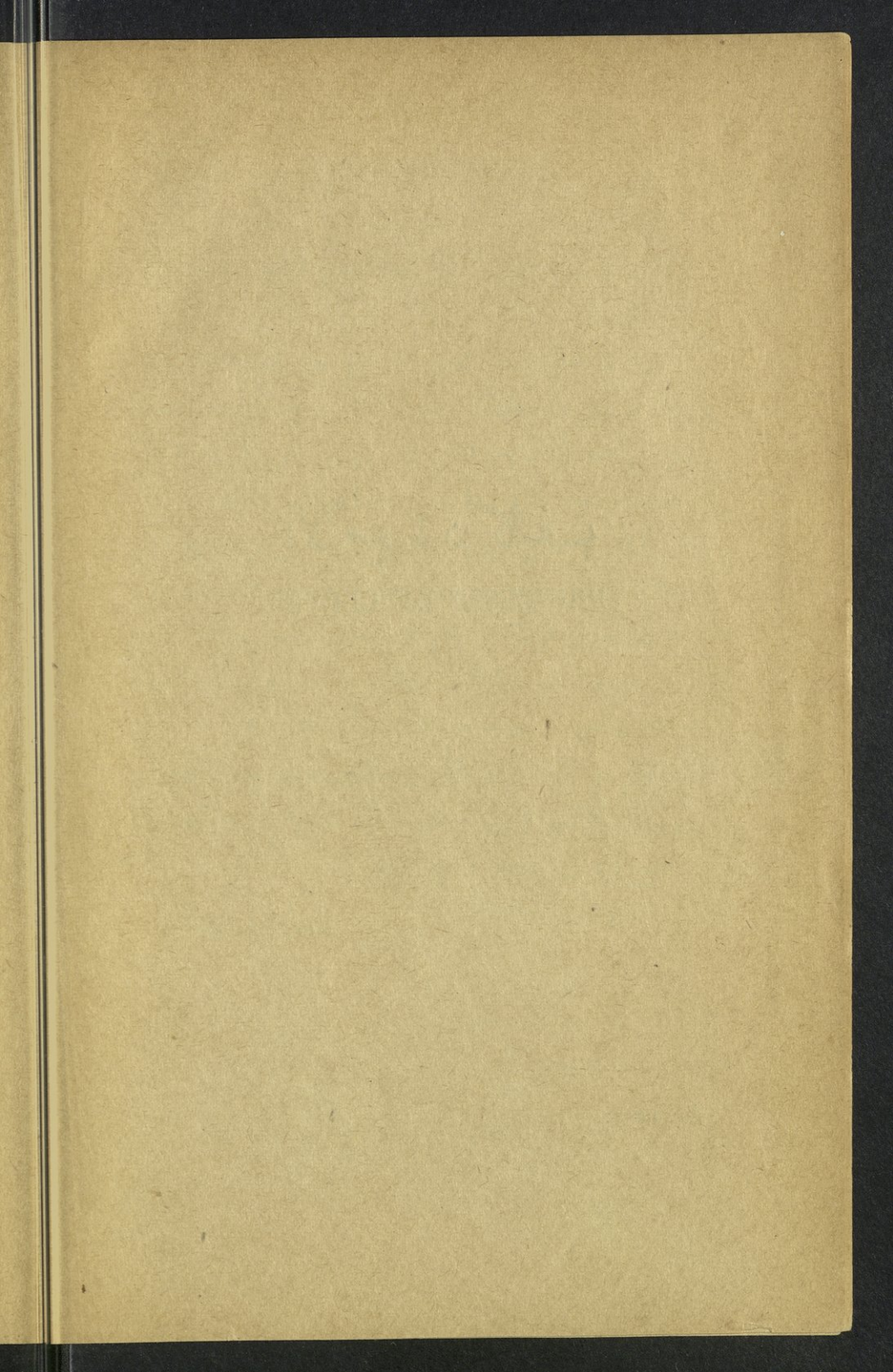
وأرجو أن يكون كتابي وسيلة إلى عودة شبابنا ومثقفينا إلى روائع الأدب الغربي ، ونقلها إلى العربية ، فهذا أحوج ما نحتاج إليه في نهضتنا الأدبية الوليدة .

بستان الرئيس — دمشق

صلاح الدين المنجد

الأميرة دكليف

PRINCESSE DE CLÈVES



كان الحب في القرن السابع عشر ، قرين البطولة
وخدين الشرف ؛ فكان إذا هام فؤاد الفارس بمن
أحب ، ولذعه الشوق ودله الحب ، عمد إلى البطولة
يجعلها ثمناً لحبه ووسيلة إلى هواه ؛ فإذا أوتى العزم
الشديد والقلب الحديد ، ونال طيب الأحداث وبراعة
الفروسة وشرف النقيبة ، وكان فحلاً لا يُقرع أنفه
ولا يُطعن عليه ، متّع بالحب ، وذاق مودة الحبيب .
والأميرة دُكليف تمثل ما ذكرته وتبين ما وصفته .
ولعل من الخير ، قبل أن نقصها عليك ، أن نتحدث عن
مؤلفتها مدام دُلافاييت *Mme de La Fayette* ، لأن في
حياتها من الطرافة ، ما في روايتها من الجمال . والحق
أنها كافت من نواذر النساء . تلقت في يفاعتها وصباها
أرفع ثقافة يمكن أن تُتلقى في ذلك الزمان ، فتخرجت

على الشاعر المشهور ميناج Ménage فثقفها وأدبها . وسرعان
 ما ظهرت رهافة ذوقها ، ورصانة عقلها ، ورشاقة كتابتها .
 وتخطت العشرين ولما نتزوج . فاضطرت أن تبحث عن
 زوج لها . فصادفت يوماً الكونت دلافاييت ، وكان
 كريم المحمد ، طيب العرق ، ضئيل العقل ، فتزوج بها
 وحملها إلى مزارعه في الضواحي ، يبتغي معها عيشاً
 يقطع به بالنعيم . ولم يستطع أن يستهويها فلم ترض عنه ،
 فهجرتة وقصدت إلى باريس ، وهناك صادقت هنرييت
 دانجلتره Henriette d'Angleterre فأحببتها ، فكانت
 تعشى بلاط لويس الرابع عشر وتقطع الأيام والليالي
 معها ، حتى إذا قضت هذه ، حزنّت عليها ، وجفت
 البلاط وأهله ، واعتزلت الناس .

وذاع في باريس صيت مدام دلافاييت ، وعرفت
 بذكائها وفطنتها . ولم تلبث أن أصبحت مهوى الأنفـس ،
 وبغية الشعراء والكتاب ، أشباه « هوبه Huet » و

« ميناج Ménage » و« لافونتين La Fontaine » ولكنها كانت عزوفاً عن كل ضجة ، أنوفاً من الظهور . كانت تحلم بالحب ، وتعجب بالبطولة . وكانت تحب الهدوء والسكينة ، تستلقي على سريرها الأرجواني الموشى ، فيخلق أصدقاؤها ومظروها حوله ، تفتنهم بالسحر والذكاء ويفتنونها بالشئ والإيطراء .

وعرفها « الدوق د'لاروشفو Duc de la Rochefoucauld » ، وكان مغامراً ، تبع نساء . وكان الناس يلجئون بذكره ، وقليل منهم من كان رآه . فاتصل بها وهي تذرف على الخمسين . ترى أكان صديقها أم عشيقها ؟ ومهما يكن من أمر ، فقد قضى بقية حياته معها . فكان يزورها في قصرها كل يوم ، وكان في هذا القصر بركة ينصب فيها الماء ، ونافورة تنفث منها إلى الفضاء ، وخلوة مغطاة بالأعشاب والأزهار . فكانت تقضي الليالي والأماسي معه ، تحت العشب

والزهر . وقد تأتي ، بعض الأحيان ، مدام دُسيغنيه
 Mme de Sévigné فيجتمعون معاً ، يثرثرون على حفافي
 سريرها الأحمر الموشى تارة ويتحدثون في الخلوة المزهرة
 أمام البركة تارة أخرى .

ومن العجيب أنها كانت تنقد حكم عشيقها أو
 صاحبها أحد النقد . كان لديها نسخة منها . وكان تعلق
 عليها وتكتب في الهامش « هذا حق ؛ وهذا جيد » ،
 فإذا سخرت منه كتبت « هراء ، خلط ، كلام مبتذل ! » .
 ولقد قرأت يوماً قوله : « إن ما يسميه الرجال صداقة ،
 ليس سوى تجارة يكون للأثرة مطمح فيها ومربح ... » .
 فكتبت بجانبها : « هذا يصح في الصداقة العامة ، لا في
 الصداقة الحق » . وقرأت مرة قوله : « مهما ندر الحب ،
 فانه أندر من الصداقة الصحيحة » فقالت : « أعتقد
 أنهما متساويان في الندرة ، لأن في الصداقة حباً ، ولأن
 في الحب الصحيح صداقة » . وكتب « إن الذي يجعل

كثرة النساء لا يتأثرن بالصدقة ، هو أن الصداقة تصبح
لا طعم لها عندما يذوق طعم الحب . فأجابته : « لا ، بل
لأن في الحب من كل شيء : فيه من العقل ، ومن القلب ،
ومن الجسم » .

لقد تصادقا ، وأثر كل منهما في الآخر . لقد قالت :
« منحني الفكر ، ولكنني هذبت قلبه وأصلحته ! »

ومن الطريف أن تتمثل هذا الدوق الحكيم ،
ذا الوجه الجم ، والعينين الذرافتين ، وبجانبه تلك المرأة
اللطيفة ، يؤلفان الروايات ، ويتجاذبان أطراف الأحاديث .
يذكران أيام لهما ، فيقص عليها مغامراته يوم كان
ريان الشباب ، وتحدثه عن سحرها يوم كانت في
رونق الصبي .

تلك هي قصة حياتها ، وإنها لقصة تثير الأسى .
لقد حلمت بالحب والبطولة فلم تذوقها . وأحبت صديقتها
هانرييت ففجعها الموت بها ، ثم هي تلقى لاروشفو كولد ،

وقد تقضى شبابه وذوى غصنه . شدّ ما يَتمنيا لو التقيا
 في ريعان صباهما . إذن لروّاهما الهوى ولا رته فعل
 السحر .

وفي عزلتها ، وبجانب لاروشفو كولد ، كتبت مدام
 دُلافاييت روايتها « الأميرة دكليف »

— ٢ —

وقرأ الناس قصة الأميرة ولهجوا بذكورها ، وصارت
 أحد وثرة الكتاب والشعراء والنساء في المجالس والأنداء
 والأسمار . ولقد كانت خليقة بأن تشغل الناس ، لأن
 الأهواء التي تتضافر فيها على قلب امرأة غرض ، فتخيرها
 بين زوجها وحبيبها ، تثير الدهشة والعجب . فهنا زوجها
 جاف القلب كما تراه ، وهناك حبيبها يبدو لعينها غزلاً
 بطلاً جميلاً . وأخذ الأدباء يسألون (بوسي رابوتان
 Bussy Rabutin) نقادة ذلك الزمان عن رأيه فيها .
 فكانت الرسائل تسرع اليه يسأله أصحابها : « أقرأت

الأميرة دكليف ؟ كيف رأيتهما ؟ هل أعجبتك ؟
 إن فيها نزاعاً قوياً بين الحب والواجب لا يقوى عليه
 النساء ، ونضالاً عنيفاً قد يتخاذل دونه الرجال ، وشرفاً
 لا يذود عنه إلا من كان ذا عزم ومضاء . وبرغم
 ذلك ، فإن الأميرة دكليف تغلبت على هواها ولم تضعف
 في نضالها ، وحافظت على شرفها ونبلتها .
 ها نحن أولاء في قصر الملك هنري الثاني ، نجد آنسة
 صاغها النعيم وصلها الترف ، كان اسمها « شارتر » ، وكانت
 ذات ذكاء وأناقة وجمال ، يتزوج بها الأمير دكليف ،
 وكان نبيلاً مهذباً ، فيحبها . ولكنه كان يعجز عن إظهار
 حبه لها ، ولا يبرع في إغرائها وإرضائها ، وكانت جباشة
 العواطف ملتزمة الإحساس ، تتحرق على ذواق الحب ؛
 هذا الحب الذي سمعت به ، ولكنها لم تعرفه ، ولم تدر
 كيف يكون ولا أين تجده . وتقام في اللوفر حفلة
 يرقص فيها النساء والرجال ، تحضرها الأميرة ، ويحضرها

م (٣)

الفارس (دُنيمور De Nemours) زينُ الفزسان ،
 وحلية الشبان ، وأكثَر رجال البلاط لباقة وأناقة . ويلمحها
 فيشخص إليها بصرُهُ ويُيقن قلبُهُ ، ثم يسعى إليها
 فيتراقصان . وينظر إليها نظرات كلهن شباك وإغراء ؛
 فتحتاج وتضطرب ، ثم تسارقه النظرات ، فيخفق قلبها
 وتحمَر وجنتاها ، فتفر منه وقد علمت أنه الحب .

وشغل الفارس خاطرها . فسهرت الليل ، « وليل الحب
 بلا آخر » . وذرفت الدمع ، « ودمع العاشق لا ينفد » .
 إنه فارس فتان ، كيف تصل إليه ، وكيف يضمها
 بين ذراعيه ؟

وكتمت الأميرة حبها ، وسعت للقيام . ولقد دعيت
 ليلة إلى حفلة رقص أخرى فاعتذرت عن الذهاب ، لأن
 فارسها لن يذهب إليها . وانفدعت في الحب ، ولكنها
 أجفلت ذات يوم ، وقد بدا لها سوء ما صنعت . أتخون
 زوجها ؟ إنه زوجها مهما كان من أمره ، ولا بد من الوفاء .

وأفزعتهما وخزات الضمير ولدعات الوجدان، فخافت العار .
ولكن قلبها لجَّ في شعاب الحب فضلَّ وتاه . كيف
تُرضي قلبها الجامح ، وكيف تنفي لزوجها المطمئن ؟ ولا
تسل عن الأرق والسهاد ، والأسى والبكاء ، والحنين
والأنين ، والحسرات والآهات . لقد أحبته حباً صرفاً
خالصاً . أفتجتمع بين حين ، وكيف تغالب الوله وتدفع
الشوق ، وتفر من الحبيب ؟

وقررت بعد عذاب ونصب ، أن تحدث زوجها بمحبها .
وتسأله إن كان يرى في ذلك حرجاً .

وتخلو الأميرة بزوجها . وإنه لمشهد من أروع مشاهد
الحب . مشهد فيه من بطولة كورنيل ورقة راسين .
إنها مفتونة بفارسها ، والألم يفترسها ، وإنه محب لها مطمئن
اليها . هي تريد أن تخبره لئلا يمس شرفه ، وهو يجهد كل
الجهد لينجو من الوسوس ، ويعلم أنها لن تخونه .

لقد ظنت أن صراحتها تدفعه إلى الإعجاب بها

وإكبارها ، ولكن هذه الصراحة أنضجت في صدره الحقد
والحسد والغيرة ، فمات كاد تحدثه حديثها بطرف خاشع ، وقلب
خافق ، وعين دموع ، حتى يشده ويهت ، ثم يصمت
ولا يشكو ، ويأسى بعد أيام فيموت .

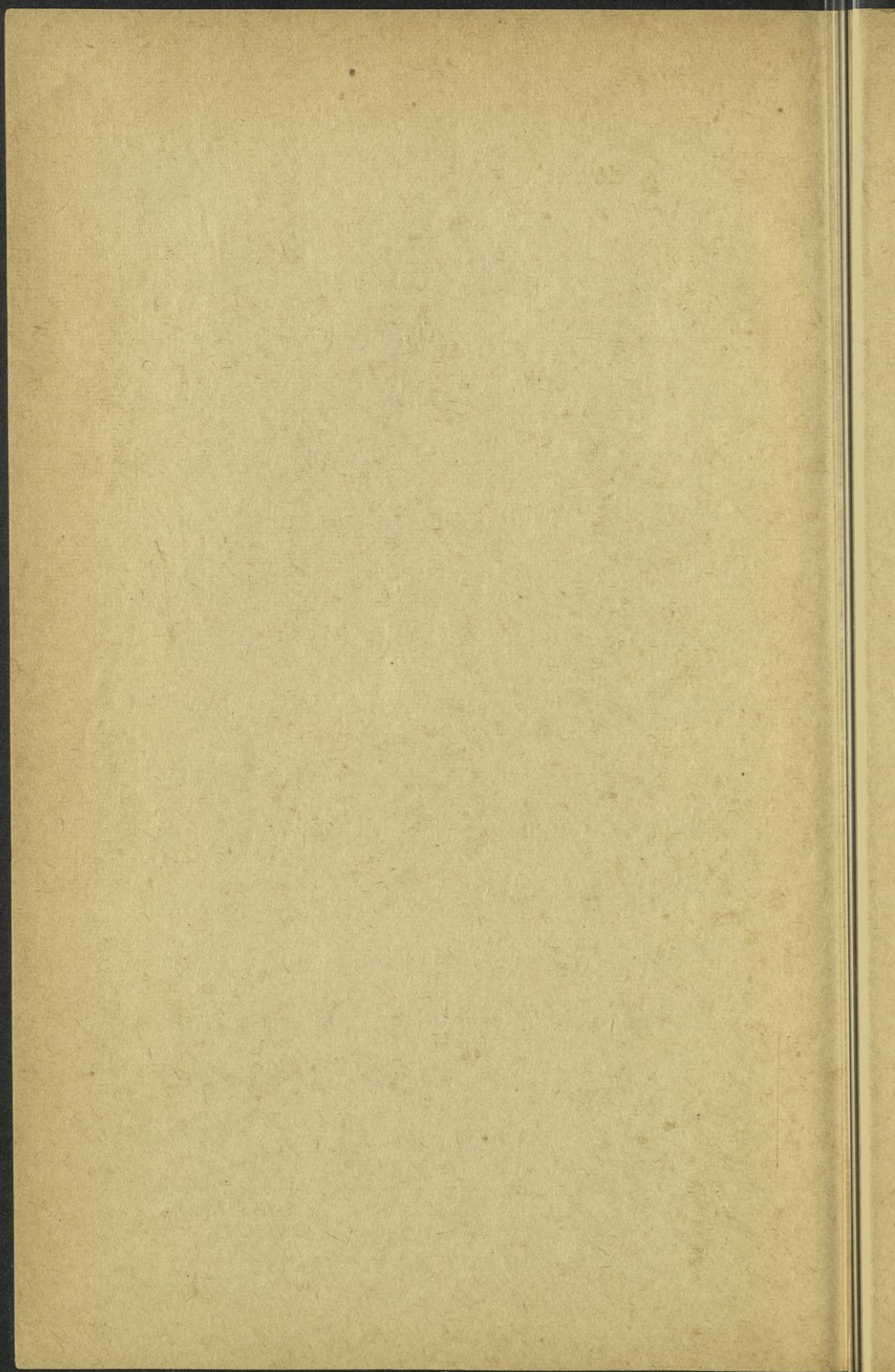
وها هي ذي الآن وحدها ، قد خلا من كانت تخشى
أن يُعرَّ شرفه . فلتسرع إلى فارسها الجميل ، لتنعيم بين
ذراعيه ؛ ولكن الأمر ليس كما ظنت . لقد سعى هو
إليها ، وتقرب منها ، فصدت عنه . وأراد أن يتزوج بها
فطرده . لقد اعتقدت أن عليهما ، هي وفارسها ، التبعة في
موت زوجها . وأن أحسن ما تكفر به عن ذنبها هو البعد
عمن تحب . فاعتزلت الناس وعاشت وحدها . الحب في
قلبها يهيج ويشتد ، وهي تصبر وتتألم ، لا تستطيع أن تُفرح
القلب بالوصال . ثم تموت الأميرة حزينة ، تحلم بالحب ،
وتفي للزوج .

تلك هي قصة الأميرة دكليف تدور حول حب
 عنيف يبعثه الإعجاب بالفروسية والبطولة والجمال ، ووفاء
 شديد بقتضيه الواجب وحفظ العهد ، فيتمتع بالوفاء على
 الحب ، وتقضي الأميرة ينهشها الحزن ويذيبها الحنين ،
 ويتحدث الناس عنها ، ويتكلمون عليها ، ولكنهم ، جميعاً ،
 يعجبون بها ويطرونها ، ثم يرددون وهم يبتسمون :
 « ما أنبلها ! لقد كانت أميرة شريفة » .



هیلوئیز الجديدة

LA NOUVELLE HELOÏSE



كان الحب في القرن السابع عشر يرافق البطولة
ويصاحب الشرف . ولقد رأيت أن الاميرة دُكليف ،
خشيت أن تؤذى في الحب فأفضت إلى زوجها بأنها
أجبت ، لئلا يمس شرفه وتعرّ كرامته . فلما أتى القرن
الثامن عشر ، مالت المرأة إلى دراسة شمائل الرجل
وعاداته من خلال الحب . وانتضى ما كان من قبل
من حب هائم ، يُسهر الليل ويُذهل اللب ، ويضنى
الفؤاد .

وما لبث الناس أن انطلقوا . . . يلذّون
ويحلمون . فساقهم هذا الانطلاق البعيد إلى الملل ،
ودفعهم الملل إلى حب الطبيعة ، والرغبة في البساطة ،
والبعد عن التكلف . مما هيأ النفوس لقبول رواية هيلوئيز
الجديدة ، والعناية بها .

كان روسو قد أشرف على الخامسة والأربعين من عمره ، عندما كتب هذه الرواية . وكان قد أنشأ ابن ساعاتي في جنيف . ثم ماتت أمه وهو صغير . وفر أبوه من رجال الحكومة وتركه فويلج كل باب ، ودخل كل مدخل ، ثم مضى لاهياً متشرداً لا يحفل أحداً . واتصل بمدام دفرنس ، فكانت خليلته وربيطته من غير أن تجبه . كما كانت جورج ساند ربيطة شوبان « Chopin » من بعد .

ثم تركها وصنع كل صناعة . فكان ناموساً لأرشمندريت ، ثم سفيراً ، ثم سارقاً ، ثم موسيقياً ، وإلى هذا كله ، كان فناناً ، حالمًا ، مرهف الحس ، رقيق الشعور ، يحس جمال الطبيعة ، ويعشق اللذائذ الصافية البسيطة . وكان يرنو إلى زرقاء السماء ، وخضرة الحقول ، وجريان المياه . . . ويداعب في نفسه حلمًا جميلًا . وقصد باريس ، حالمًا بالمجد . كان يتمنى نصر الأبطال م (ز)

وخلود العباقرة . ولكن ماهو الثمن الذي ينبغي أن
يؤديه ؟ لقد اخترع طريقة لترقيم الموسيقى ، وكتب
غنائية لم ينشرها ، ثم إنه يحس أنه قادر على التأليف
فهل يكفي هذا . . . ؟

وكان إلى ذلك أيضاً رقيق المشاعر ، ولكنه
متكبر . وكان يعيش في الخيال . ويبتعد عن الواقع ،
ويقول : « إن الإنسان لا ينعم بما يناله ، بل بما يأمله .
ولا يحس المرء السعادة إلا عند ارتقاب السعادة . »
فرجل كهذا ، قد يجد في عزله من النعيم مالا يجده بين
الناس . ولكن هناك المجد . . وكيف يدركه ؟

واستطاع أن يتصل بدمام دوبان Mme. dupin التي
كانت تستقبل عظماء باريس كلها ، وصادق ابن زوجها
« فرانكويل » Francueil ، وكان هذا عاشقاً « مدام
ديبيناي Mme d'Epinay » ، ثم انضم إلى جانب الفلاسفة
وعندما وضع مجمع ديجون Dijon بالمسابقة خطاباً حول

الفنون والعلوم ، كتب دفاعه الشهير ثالِباً محاسن المدنية :
 «... أيتها الفضيلة ، أما نقشت مبادئك في جميع
 القلوب ، أو لا يكفي ، لكي نعلم قوانينك ، أن ينعطف
 الإنسان على نفسه فيصغي إلى صوت ضميره ، عند
 صمت الأهواء...»

وذاع صيت روسو ، وعُرف بأنه عدو لدود
 للعواطف المتكيفة ، وأنه صديق الطبيعة . هذا أول
 لقب من ألقاب المجد ، فليفتش عن لقب آخر .
 وفي السنة ١٧٥٢ ، مثلت روايته « عرّاف القرية
 Le Devin du village » أمام الملك في فرساي ،
 وأوتيت حظاً كبيراً من النجاح فتطلع الناس كلهم
 إلى معرفة روسو والتحدث إليه .

لكن هذا العالم الذي استقبله ورحب به ، لم يكن
 قد خلق له . ولم تكن أبهاء باريس ، وما فيها ،
 لتروقه . « كانوا يلهون ، يحاولون الجمع بين الفكر

والعقل ، ولا يتعمقون في المباحث خوف الملل .
 ويجنحون إلى الإيجاز ، ثم لا تجد واحداً ينقد رأيَّ
 آخر ، أو يؤيده ، ويتعصب له . . . »

فماذا يفيد روسو من هذه المحادثات ؟
 وعزف عن الناس ، وانتقطع إلى مدام ديبيناي ،
 في أحضان الطبيعة .

وهفت نفسه إلى تأليف رواية يدور موضوعها
 على الحب ؛ هذا الحب الذي لم ينعم به في أيام صباه ،
 وقد هاجه ما يحيط به في عزله هذه ، في دار مدام
 ديبيناي . لقد ذاق طعم حياة هادئة فيها راحة وهناءة
 وسذاجة . وتمتع بمرأى الغابات والحقول ، ولذته
 أناشيد العصفير ، وأسكرته عبقات الأزاهير . إنها
 عزلة حلوة ، ولكن ، ما كان أكثر جمالها وأشد هنائها ،
 لو كانت عزلة مخلوقين اثنين عن الناس ، عزلة قلبين
 متحابين يعيشان في دار كهذه ، وينعمان بطيب الحياة .

وكان الربيع الطلق قد أقبل يضحك ويغني ، وفي كل مشهد من الطبيعة نداء للحب . فأغراه ذلك كله على كتابة رواية ما . فبدأ ، وأحاط حوادثها بمنظر الطبيعة التي عاش فيها وتمتع بروائها ، أيام كان صبياً غض العود ، على ضفاف بحيرة جنيف . وسمّاها هيلوئيز الجديدة . لأنها تشابه مغامرة هيلوئيز وآيلار ، المؤدب الذي عشق الفتاة التي عهد إليه ان يؤدبها . وتخيل شاباً لانسب له ولا مال ، اسمه سان برو ، يحاكي روسو في خلقه ، ويخالفه في تبلده ، قد أتى به ليؤدب جوليا ابنة السيد ديتانج الغني السويسري . وكانت قد أوتيت الجمال والشرف والتهذيب . فما أن رآها حتى أحبها . فسكنتم حبه . فلما ثار الهوى ، وضاق به ذرعاً كتب إلى جوليا رسالة حبه الأولى . وهي رسالة رقيقة تفضي إليها بحبه .

كان سان برو ، كروسو ، تؤثر فيه العواطف وتهزه

الأهواء . وكان ، كما قلنا ، خيالياً حالماً . فلم يطمع
 من جوليا بما يصعب نواله ويستحيل إدراكه ، بل كان
 يريد أن يقول لها : « إن ملامحك خلاصة بهرت عيني »
 « ... إن أبصارنا تتلاقى ، فتفتلت من صدورنا
 بضغآهات في وقت معاً ، وتنحدر بضغ دمعات ...
 » « ... لقد حاولت اليوم ، مائة مرة ، أن أرتمي
 على قدميك فأنديهما بعبراتي ، فيفل شجاعتي دائماً
 رعب قاتل ، وترجف ركبتي ولا تطيقان ثقيلاً ... »
 وينمو الحب في قلبي العاشقين . ويحاول سان برو
 أن يفر خوف الفضيحة فيسافر ، ويتبعه رسائلها تدعوه
 فيها لكن كيف السبيل إلى صون الشرف . كلا
 العاشقين قد أذهلها الهوى . وهما يريدان أن يبقيا شريفيين
 طاهرين ، فكانت تتمنى ألا يحفوها وأن نظل صادقة في
 حبها إياه ، ولم يشأ روسو أن يغيرها . فتألم ويئس ، وأذعن
 ثم شعر بالملل ، وكان يرسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ..

فتخيل أن جوليا تُجبر على زواج رجل روسي نبيل
اسمه سان برو ، وتتطلب أن يحبها ، وأن يصونها ويحترمها .
ولكي تتم الرواية ، جعل روسو لهذين البطلين وصيفين
يكتمان أسرارهما . فاتخذت جوليا ابنة عمها ، واتخذ
سان برو صديقه ميلورد ادوارد . ويجتمع سان برو
بجوليا ، وتكون معهما كثير في غيضة شعرية ، ويكون
مشهد القبلة الشهير .

« فلما دخلتها ، دهشت لرؤية ابنة عمك تقترب
مني ونسألني قبلة بدلال واستعطاف . فقبلت هذه الصديقة
الفاتنة غير مدرك من السر شيئاً . ولكن رباه ! ماذا
أصابني بعد لحظة ، حيناً أدر كت . لقد رعشت يدي ،
وأحسست قشعريرة لطيفة تدب في جسمي ، وشعرت
بفمك الوردى ، فم جوليا ، يلتئم فوق في ، وبذراعيك
تضمان جسمي . أواه ! كلا ، ليست نار السماء بأكثر

تأججاً ، ولا أشد سرعة من النار التي سرت تلك
 اللحظة في جسمي . لقد كانت النار تندلع من آهاتنا
 وتناجج في لاهبات شفاهنا ، وكاد قلبي يموت تحت
 عبء اللذة ، ثم رأيتك ، وقد شحب وجهك ، تغمضين
 عينيك الحلوتين ، وتتكئين على ابنة عمك ، ثم تسقطين
 على الأرض من الإغماء . عندئذ أطفأ الرعب سرورنا
 فلم يك نعيمي غير سنا خاطف كالبرق . . .

« إن أثر الإحساس العميق الذي أحسسته ان يزول
 أبداً . احفظي قبلاتك يا جوليا . فأنا لا أستطيع احتمالها .
 إنهن شديداً الأثر ، يخزن ويحرقن حتى اللب » .
 ويتأجج الحب ويفور وتقسم جوليا ألا تتزوج أحداً
 غير سان برو .

ويحاول سان برو أن يهدي من فوران حبه ويخفف
 ثوران هواه . فلم ير بداً من السفر . فغاب ، وفي إبان
 غيبته ، أعلم السيد ديتانج ، ابنته جوليا ، أن

زواجها رجلاً غير ذي نسب ونبالة مستحيل .
 فلما عاد سان برو ، هزها الشوق ، وعطفها إليه
 الحنين . فتقربت منه ، وأزله الشيطان ، فأضحت
 خيلته ، وعندئذ شعرت بوخز الضمير

« ليعزب هذا البربري إلي الأبد عن وجهي ، ليمض
 فلا يضاعف بحضوره آلام روحي ، ليكفّ عن التلذذ
 الوحشي بتأمل دموعي ، ماذا أقول ؟ واأسف على نفسي !
 إنه ليس مجرمًا . أنا المجرمة وحدي . إن مصائب لمن صنع
 يدي ، وليس لي أن ألوم غيري » .

ويسعى ميلورد ادوار في إرجاع الأب عما عزم عليه
 ولكن سعيه كان فشلاً . واضطر سان برو الى مغادرة سويسرة
 فقصد باريس .

وتكشف السيدة ديتانج بعد سفره ، رسائل العاشقين
 « ضاع كل شيء ، وانكشف كل شيء . لم أجد
 الرسائل في المكان الذي خبأتها فيه ، مع أنها كانت فيه

أمس مساء ، لا بد أنها لم ترفع من مكانها إلا اليوم ،
وقد تكون أُمي وحدها استطاعت أن تراها ، ولئن رآها
أبي ، فليكونن هذا آخر عهدي بالحياة !»

وبقف روسو ، برسائله وروايته عند هذا الحد . وكان
يحمل هذه الرسائل في حقيبتها ، ويقرأها على النساء ،
فيمكن رقة وأسى ، وكان يعتقد أن روايته قد تمت ،
وأن الحبيبين افترقا إلى الأبد ، فلا لقاء ، لكن حادثاً
يقع ، فيكون نتيجة لتلك القصة الخيالية . وهذا مثال
واضح بفسر الصلة بين الرواية والحياة وبين الخيال والحقيقة

عرف روسو ، في هذه الحقبة ، مدام دوتو . وكانت
هذه ، شأن كثيرات من نساء القرن الثامن عشر ، قد
فركت زوجها وأحبت سان لامبير ، القائد الشاعر ،
عاشق مدام دُشانتليه .

وصادف أن لجأت إليه - وهو في عزله عند مدام

ديميناي - وَحَلَّةٌ قَدْ بَلَّهَا الْمَطَرُ ، ثُمَّ زَارَتْهُ زُورَةٌ ثَانِيَةٌ
مَمْتِطِيَةٌ حَصَانًا ، وَقَدْ تَزَيَّتْ بِزِيِّ الرِّجَالِ .

يقول روسو : « . . . وَرَغِمَ أَفْنِي لَا أَحِبُّ شَبِيهَاتِ هَذِهِ
السَّخْرِيَّاتِ ، فَقَدْ بَهَرْتُ بِشَكْلِهَا ، وَأَحْبَبْتُهَا . . . » .

لَمْ تَكُنْ مَدَامُ دُوتُو ، جَمِيلَةً ، بَلْ كَانَتْ ذَاتُ سِحْرِ
وَجَازِيَةٍ . وَسَرَّعَانَ مَا اشْتَدَّ حُبُّهُ ، فَانْتَقَلَ فَجْأَةً مِنَ الْعَالَمِ
الَّذِي كَانَ يَتَخَيَّلُهُ عَلَى الْوَرَقِ ، إِلَى عَالَمٍ فِيهِ مَا يَبْلَاقِيهِ
الْهَائِمُونَ مِنَ الْوَلَهِ وَالْحَنِينِ وَالشُّكُوفِ . وَكَانَتْ ، تِيَاهَةً
طَيَّاشَةً ، ذَاتُ دَلٍّ وَرَقَّةٍ ، لَا تَأْبَى عَلَى رُوسُو النِّزَاهَاتِ
فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، أَوْ الْقِبْلَاتِ عَلَى حَفَافِي النِّهْرِ . لَكِنْ
قَلْبُهَا كَانَ شَارِدًا . أُسْرَهُ رَجُلٌ غَيْرُ رُوسُو ، وَغَيْرُ
زَوْجِهَا . رَجُلٌ قَائِدٌ خَيْلٍ إِلَيْهِ أَنَّهُ شَاعِرٌ ، وَأَوْهَمْتُهُ أَنَّهَا
صَادِقَةٌ فِي حُبِّهَا إِيَّاهُ . وَلَمْ يَشَأْ رُوسُو أَنْ يَغْرِبَهَا . فَتَأَلَّمَ وَيَتَسَّسَ
وَأَذْعَنَ . ثُمَّ شَعَرَ بِالْمَلَلِ ، وَكَانَ يُرَاسِلُهَا فَانْتَقَطَعَ عَنْ
مُرَاسَلَتِهَا .

وعاد روسو الى روايته 'يتمها' ...

فتخيل أن جوليا تجبر على زواج رجل روسي نبيل
اسمه ولما قد أوتي بسطة من البلادة ؛ وأن سان برو ،
'يذعن' ، وقد يئس فيجعلها في حل مما كانت عاهدته
عليه ، فلا تتزوج غيره . وتذعن جوليا إطاعة لآبيها ،
وشفقة على حبيبها . ويضطرب سان برو ، فيسافر ليطوف
في البلاد . مسكينة جوليا ! إنها لم تذق من هواها غير
القلق والخوف واليأس . . . ولم تلق في طريقها غير حبيب
أحبته ، فأبعد منها ، وزوج لم ترض عنه فقرب اليها .
فلما طوف كثيراً ، عاد فنزل عند ولما نفسه زوج
جوليا . وحادث جوليا أول محادثة ، وكانت خجلى ،
وحاولت أن تبدي عذرها في زواجها ، ولكن زوجها
فاجأهما ...

يقول روسو : « ... ولم تعباً ، وظلمت تتكلم بمضوره
كأنه لم يكن . وعندما سكنت قال لي : هذا مثال من

الصراحة التي تسود هنا * وإذا شئت أن تكون فاضلاً
 حقاً ، فاتبع هذه السبيل * هذا هو الرجاء الوحيد
 والأ مثولة الطيبة اللذان أقدمهما اليك . إن أول خطوة
 نحو العار اخفاؤك الأعمال العلانية . إن حكمة واحدة
 يمكن أن تحل محل الحكم كلها . وهي : لا تعمل ولا تقبل
 ما لا تريد أن تنظره من الناس أو تسمعه منهم . . . »
 وحاولت جوليا إدراك سلام القلب مع زوجها ،
 رغمًا عن هواها القديم الذي يشور في فؤادها . وهكذا
 انقلبت الرواية إلى درس أو منهج للأخلاق

لقد أراد روسو أن يثبت أن الاخلاص بين الزوجين هو
 أهم واجبات الزوج شأنًا ، وأن الهوى العنيف عندما تكون
 الفتاة عذراء ، إذا دام بعد زواجها من لا تحب ، يصبح
 جريمة . وأن المرأة تستطيع أن تنشئ حياة سعيدة على
 أنقاض حب عظيم

وتقضي جوليا العيش مع زوجها ، في الحقول ،

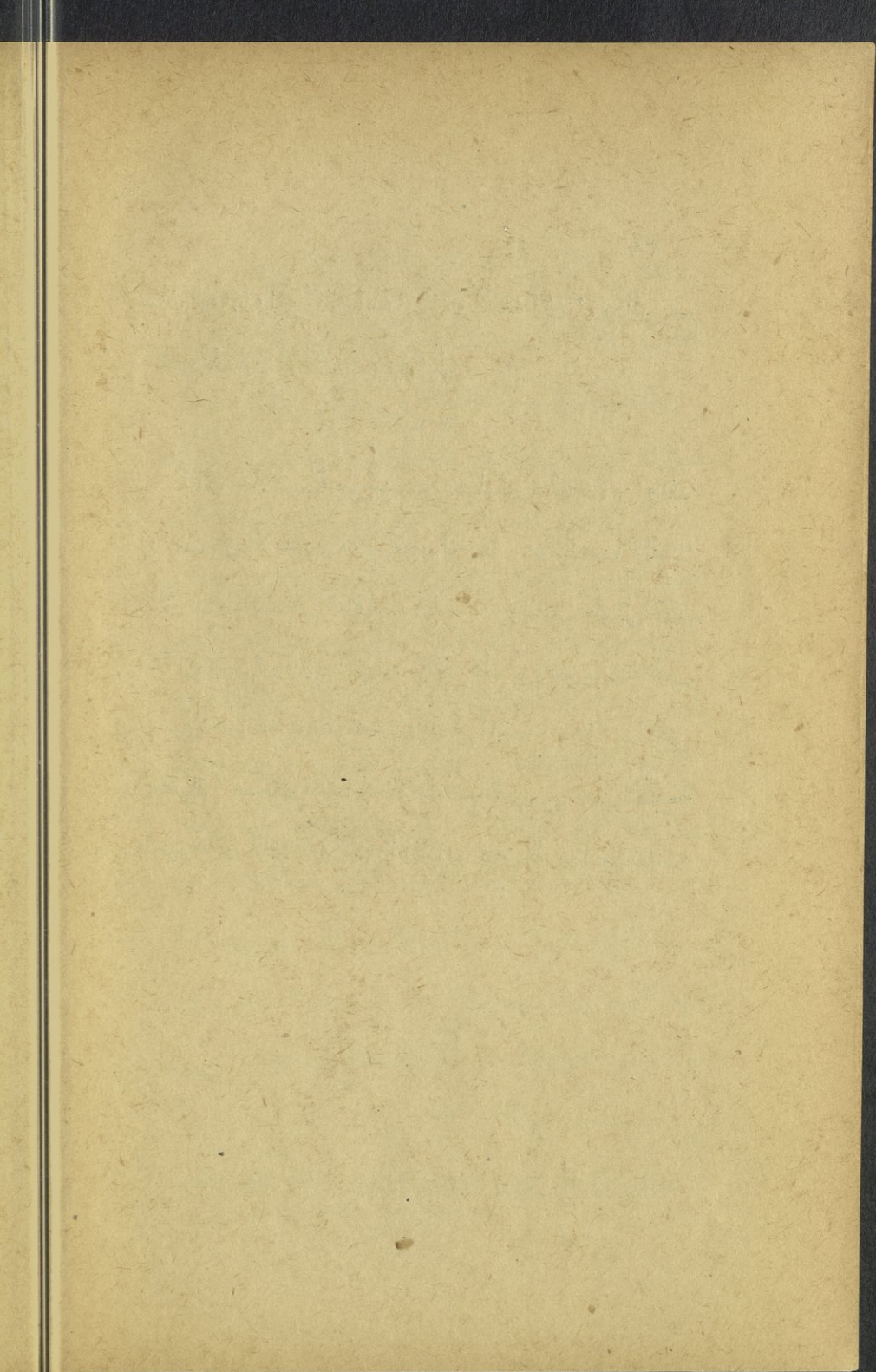
يراقبان الخدم ، ويوجهان الزارعين ، ويعنيان بالكروم
 ويعجب سان برو ، بحكمة ولما روجوليا ورجاحة
 عقليهما . ويصف الخدم والحديقة ، وصفاً ممتعاً ، ولكنه
 لم يستطع أن يطفى لهب هواه ، أو ينسى حبه القديم . فقد
 كان كل شيء يذكّره ويذكرها بنعيم مضي وعندما
 اتخذت جوليا قارباً لتنزه فيه ، فكرامعاً في ذلك الماضي
 الجميل « كان صوت المجاديف المتزن ، يثيرني لأحلم .
 وكانت صدحات دجاج الحقول المرحّة ، تذكّرني بنعميات
 عمر مضي ، فتحزنني بدلاً من أن تفرحني . وشعرت ،
 رويداً رويداً ، بازدياد الغم الذي كنت به مثقلاً . فلا
 صفاء السماء ، ولا طراوة الهواء ، ولا شعاعات القمر
 اللطيفة ، ولا رعشات الماء الفضية حولنا ، حتى ، ولا
 وجود هذه المخلوقة العزيزة ، لم يستطع أن يطرد عن
 قلبي ألف فكرة مؤلمة »

وينتهي روسو روايته بموت جوليا ، بعد أن أوصلت

سان برو بزواج كلير ابنة عمها ، ولكنه أبي . وعاش مع
كلير ينشئان أولادها ، وفاء لها

* * *

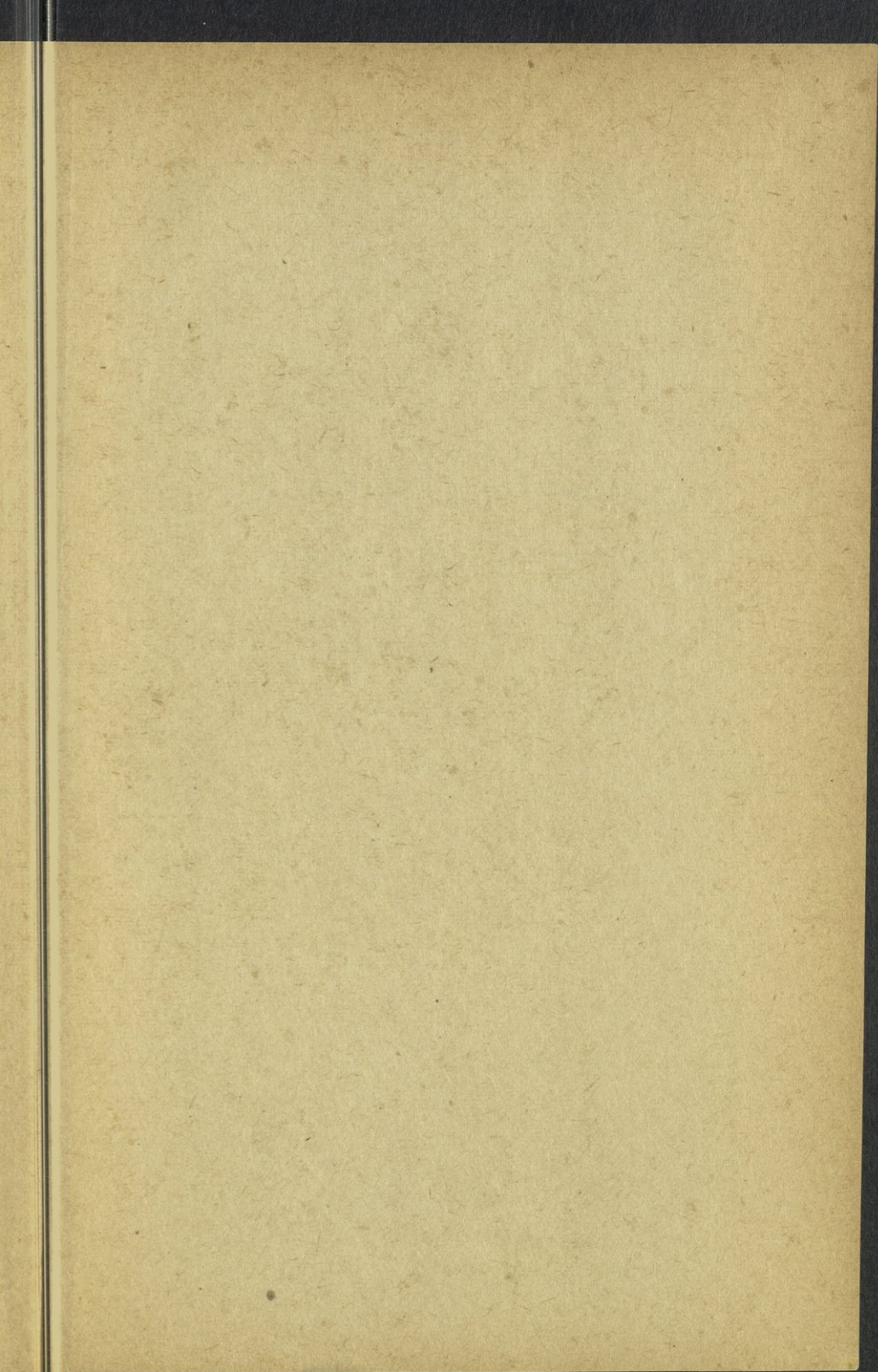
تلك خلاصة موجزة عن هيلوئيز الجديدة . ولقد
أوتيت من الانتشار ما لم يقدر لغيرها . وقرأها النساء
والشبان والشيخان ، بحماسة ولذة . وظلت طوال القرن
الثامن عشر ، رواية الجمهور . لقد علم روسو بها الحب
نابليون ، وأخذ عنه غوته وستاندال أيضاً . وعلم بها الناس
الفضيلة ، فكان قائداً أخلاقياً ، ثم علمهم بها حب الطبيعة
فأحبوها ، وكان أباً وأستاذاً للابتداعيين الذين أتوا بعده .



ستاندال والحب

STENDHAL : DE L'AMOUR

م (٦)



إذا جرى قلم ستاندال في الحب ، فأعجب به من متحدث ،
وأكرم به من خبير . لقد بلى الحب وعرف ذواقه ،
فوصفه وعرفه ، وتساءل كيف ينبغي أن يكون الرجل
مع النساء ؟ أليكون كدون جوان ، أم كقرتر
الهيمن ؟ أليصيد ويحارب ، أم يعشق ويدنف ؟ لقد كان
ستاندال يُعجب بدون جوان لأنه رمز الشجاعة والمغامرة
والنشاط ، ولأنه محتال هادي ممعن في اللهو والاستهزاء .
والحق أن الناس جميعاً ، يعجبون بمن كان على شاكلة
دون جوان . ولكنهم يُعزّضون به ويثلبونه محاسنه . في
حين أن العشاق المتيمنين ، أشباه قرتر المسكين ، يشفهم
السقم ، ويضنيهم العذاب ، ولكنك تراهم سعداء . سعادتهم
في الخيال . إنهم يبنون القصور الشامخات ، فيزر كشونها
بأحلى التهاويل ، فهي أبدأ مشرقة بسنا باهر من تزويق
الأحلام وزخرفة الهوى ؛ فيعيشون ويحلمون ، لأن الحب

على منهاج فترتر بعد الروح لفهم كل فن رفيع ، ولا حساس
كل شعور لطيف .

إن دون جوان يرى النساء عدوات لدوات . فالحب
في عينيه حرب ونضال . هو يبرع في المغامرات ويستهدف
الانتصارات . أما أتباع فترتر فأولئك هم الهائثون
بالزفرات والعبرات .

إن دون جوان يختصر الحب ، ويجعله أمراً هيناً ينتهي
بالنصر . فهو ما يفتأ يفكر كالقائد العظيم ، في نجاح
أعماله ، ومهارة هجومه ، وبلوغه المجد ! أما أنصار فترتر
فالحب عندهم طريق طويل ، يجتازونه سعداء بما يشعرون
به ويحسون ، وبما يلاقون ويدوقون . سعداء بالعاطفة
والحنين ، والوجد والأنين ، والسقم والضنى ، والبكاء
والشكوى ، مرتقبين الفرحة الكبرى ؛ سعداء بأنهم
أحبوا . وقد يما قال لاروشفو كو « إن لذة الحب ، هي

أن تحب ! » صحيح حنو

إن نعيم دون جوان لذّة جنسية ، قشعريرة تدب في
 الجسم لحظات ، ثم زهو وكبرياء : لقد انتصر ! والحب
 على طريقته يحاكي الميل إلى الصيد . هو ميل للنشاط .
 أما الحب على طريقة فرتر فهو هدف نبيل في الحياة
 يلمس بسحره الأشياء ، فتترقق فيها الطرافة والحياة ،
 والرونق والرواء ، إنه حب لا يعرف الملل ، لأنه يهزّ .
 « والحب الذي يهزّ ، لا يبعث الملل في النفس » .

لقد كان ستاندال يترجّح طوال حياته بين مذهب
 فرتر ، ومنهج دون جوان . كان بطبعه قريباً من فرتر .
 ولكنه نهج منهج دون جوان بفضل صديقه « ميريمه »
 Mérimée ولكن دون جوان متكبر مزهو . وستاندال
 لا يعرف التكبر ولا الزهو . وكان رقيق النفس لطيف
 الطبع . وكان حلمه في الحب ، أن يتأمل ويعجب ، وأن
 يجد امرأة ليست كواحدة من النساء !
 وصف ستاندال الحب بمالم يصفه به أحد . وصف

فعاليته ونموه، وابتدائه وانتهائه، وصف ذى تجربة وخبرة .
كتب مرة يقول « لقد كان الحب دائماً أعظم الأعمال
طراً لديّ ، بل كان شغلي الشاغل الوحيد » .

خص ستانداى بالحب كتابه « de l'Amour » وصوره
في رواياته الظراف ، كأرماناس « Armance » والأحمر
والأسود Le Rouge et le Noir . وغيرهما . ومما ذكراته
Son journal أيضاً سوى كتاب للحب والهوى .

تُرى كيف يكون ميلاد الحب ونموه ؟

لقد وصف ذلك في فصل عقده عن « التبلور »
Cristallisation . وهو من أمتع الفصول في كتابه عن
الحب ، يقول فيه إن أول الحب الإعجاب . ترى الفتاة
فيعلق طرفك لحظة بها ، وتعجب بخلابتها وحسنها .
ثم يرف حولك حلم زاهر ، وتقول لنفسك : « ما أألها
لذة أن تقبلني قبلة ، أو أقبلها قبلة . ما أطفها ، ما أجملها ! »
ثم يداعبك الأمل ، فتأمل أن تراها ، وأن تراك .

وتغدو متوقباً ما أملت . وعندئذ يولد الحب .
 فاذا ولد الحب ، بدأ التبلور الأول . فيشعر الحب
 بلذة ما تساميا لذة ، وهو يخلع على محبوبته الجمال والكمال .
 وتصبح شغله الشاغل . يتمثلها ليله ونهاره ، ويتخيلها في
 كل مكان : في الطريق ، وفي المتجر ، وفي المكتب ،
 وفي الفراش . يزينها خياله ، ويزوقها هواه . يقول ستاندال :
 فيحدث بها ، ما يحدث بغصن شجرة كالح أجرد سليل
 إذا قذف إلى مناجم الملح في سالزبورغ ، فإذا أخرجوه
 بعد شهور ، ألفوه غصناً كأنه مزهر ، يتلألأ ويتألق .
 وقد رصعته بلورات لماعة من الملح ، كأنها جواهر من الجوهر .
 فإذا أبصره مبصر ، لم يدرك في خلده أن هذا الغصن كان
 أمس سليباً أجرد . فما يسميه ستاندال بالتبلور هو هذا ،
 أعني تزيين الحبيب بحبيبه ، وخلق الحسن عليه ، حتى
 يصبح كذلك الغصن . فإذا تم التبلور ، كانت الحبيبة
 في عيني محبها ، أجمل مخلوقة في الدنيا ؛ بل هي الجمال كله ،

ليست من البشر ، ولا كواحدة من النساء . . . هي ملك
كريم .

ثم لا يسمع المحب بشيئٍ لذٍ ، إلا تمنى أن يَلْذَه مع
من يحب ، ولا خطر بباله سعادةٍ إلا هفا قلبه إليها لجل
التي يحب .

والتبلور أسرع نمواً عند المرأة منه عند الرجل . وذلك
راجع الى رهافة حسها ، ورقة قلبها . تراها تطرز وتفكر ،
وتخيط وتحلم وتغني وتذكر . وفي هذا كله تخلع على
فتاها أبهى الصفات التي تود أن تكون فيه . أما هو ،
فقد يسلى ساعات ، وقد ينسى ساعات ، وقد يكتم الأمر
فلا يدع لبدوه سبيلاً .

وما دامت صور المحب تتجدد في نفس الحبيب وتتعدد ،
فالحب ثابت لا يزول ، على أن العاشق يشعر بعد هذا
بقلق واضطراب ، فلم يضطرب ؟

لقد أغراه الحب وضحك له الأمل . فيلج في الأماني

وَيُودَّ لو كانت لذات الدُّنَى كلها طوع يده لينعم بها
 مع حبيبه . ولكن اللذائذ لا تواتيه ، والسعادة لا تأتيه .
 ثم يعتريه الشك . ويقول لنفسه « إنها جميلة ! وليس
 في الدنيا أجمل منها جمالاً ولا أحلى حلاوة ، وإنها لتحبني ،
 ولكن كيف السبيل إلى عرفان آية حبها ؟ »

فإذا كان الوصال ، فالتبلور يذوب . وإذا كان
 الهجران ، فالتبلور يعود ويزيد . وكلما رأى مخلوقاً ينعم
 نعيماً ، أو يسعد سعادة ، تحسروا وقال : « أوَّاه ! لن أذوق
 هذا النعيم ، ولن أتمتع بهذه السعادة ! »

ومن الطريف أن نقايس بين رأي ستانдал ، ورأي
 برناردشو في موقف المرأة والرجل من الحب . فهما على
 طرفي تقيض . فيعتقد ستانдал أن الرجل في الحب لجوج
 بها جم ، وأن المرأة عزوف تدافع . وأنه يطلب ، في حين

ترفض . وإنه يكون يقظاً نشيطاً ، وتكون هادئة جزوعاً .
 أما برناردشو فيرى أن المرأة تتساءل دائماً « كيف
 السبيل إلى إغرائه ؟ » على حين يقول الرجل « وكيف
 أُنقذ حريتي من الأسر ؟ » أما الإرضاء ، فهو عند ستاندال ،
 من محاولات الرجل لأنه يقول « أستطيع أن أنال
 رضاها ؟ » لأن المرأة لا ترضى سريعاً ، ولا تصدق الحب ،
 فهي تتساءل أبداً « ألا يلهو بقوله : أحبك ؟ أثابت حبه
 مقيم ، أم زائل متحوّل ؟ » وسر هذا أن النساء ضعيفات
 القلوب يجزعن ويخفن . ولهذا كان نموّ الحب ، عندهن
 هادئاً بطيئاً .

تلك طرف ستاندال عن الحب : وما أزعم أنني وفيته
 حقه . ولكني أنصح بقراءة كتابه De l'Amour . فإن
 فيه رضى الشعور ، وغذاء القلب . وفيه طرافة وظرافة .

فلقد بلغ في تحليله الحب ، هذا التحليل العميق ، ما لم يبلغه
أحد ممن سبقه أو لحقه .

لقد كانت الحياة في عينيه نساء وأنعاماً وأسماراً .
فجدير بمن كان هذا شأنه ، أن تعلمه الغواني كيف
يكون الحب ، وكيف يصبح أمير الحب !



كانت الآنسة كابيلى Mlle Kably ، وهي ممثلة رآها
 في مسرح غرونوبل ، أول فتاة خفق لها قلبه . وكان حبه
 يومئذ حب طالب غض الالهـاب . كان في السادسة
 عشرة من عمره . صادفها ذات يوم ، فسحرتة ، فأحبها
 وكان اضطرار عواطفه شديداً ، جعله لا يجرؤ على أن
 يترصدها في الطريق أو يرقبها في الشارع ، لشدة سلطانها
 عليه . حتى أنه صادفها مرة ، وكانت مرة وحيدة ،
 فانقلب إلى غرفته مريضاً . والحق أن هذا الحب كان
 عنيقاً متأججاً . وكان ستاندال يتجلد ، ويذهب إلى
 المسرح ، فيختفي وراء الناس ، لمسارقتها نظره . وكان
 يصفق بكفيه لها ، تصفيقاً فيه عنف حبه وشدة . حقاً
 إنه حب عجيب . لقد أسرت هذه الفاتنة ، قلب هذا الفتى ،
 وهي لا تعرفه ولم تسمع قط باسمه . ولكن هذا الحب ،

ما كان غير فورة عاطفية خمد لهيها ، مذ تركت الآتسة
 كاليبى غرونوبل . فقد تحول عنها ، إلى أخت أحد أصدقائه ،
 « فيكتورين بيجليون Victorine Bigillion » فأحبها
 أيضاً . ثم رحل إلى باريس ، وقصد ميلان . وفي ميلان
 ألفى نفسه عاشقاً امرأة ذات جمال وصباحة ، كان لها
 الصيت الذائع بالحسن والسحر والطف ، هي « انجيلا
 بيتراغروا Angela Bietragrua » ولكنه لم يجرؤ أيضاً أن
 يعلمها حبه . فلما عاد إلى باريس صادف ممثلة أخرى ،
 تعرف بالآتسة لوازون Louason . وكان اسمها الحق « ميلاني »
 فعاشرها وصاحبها ، وكتب عنها في مذكراته روائع حلوة
 « لقد ذهبت إلى ميلاني وقد مسني اضطراب خفيف ،
 فنفخت في النار ، وكانت هذه العناية التي تبشر بالألفة
 والأنس تأخذ بمجامع قلبي . ولقد ظللنا معاً حتى الساعة
 الثانية عشرة ، وكنت سعيداً جداً . ووددت لو كانت

سعيدة مثلي أنا . لقد كانت مخلوقة علوية وهي نقص عليّ
أقصوصاتها . وكنت جالساً بجانبها أنظر إليها مواجهة ،
لا أدع لحظة من ملاحظتها تفلت مني ، واضعاً كفيها في
كفي . ولقد أحست جيداً أن روحها الحنون تحلم ..
إن فرح هذه النفس الحساسة ، ونشوتها ، اللذين أظهرتهما
إذ رأيتني ؛ خيلاً إليّ أنها تدلان علي حبها إليّ .

غير أنني ، جعلتها تبرم بي قليلاً ، آخرة مرة . فقد
قلت لها : « لنختبر علامة ، تشيرين بها إليّ ، عندما تشعرين
بملالة مني . » فأجابت بلمحة الرضى والقبول « آه ! نعم
نعم ! إن هذه العلامة هي هذا السؤال : أَيْ في الأوبرا
حفلة رقص ؟ » ..

وبعد أيام ..

« لقد خرجت من عند لوازون ، أعتقد أنني لم ألك قط
أبرع ، ولا أشد قياماً بما ينبغي عليّ ، مثل ذلك اليوم .
وكنت أرتدي صداراً ، وسراويل قصيرة من الحرير ،

وجوارب سوداً . وفوق ذلك بذلة برونزية اللون معلّمة .
وعقدة أحكم وضعها ، وقبعة أنيقة . وأعتقد أنّ هيتي ، لم
تمح قط دما متي يوماً ، كما محتها يومئذ . كانت روحي كلها
تبدو . لقد أخفت جسمي ، وكنت أبدو جميلاً جداً . . . »

فما ألطف هذه القناعة الساذجة ، التي يقنع بها محب
بليد متواضع . إنها لتذكر بروسو عندما كانت يطري
نفسه .

ونجح ستاندا ل في كسب ميلاني ، وفي سنة ١٨٠٥
تبعها إلى مارسيليا . فلما عاد إلى باريس علقه هوى جديد .
فقد أحب مدام دارو Mme Daru ثم صدف عنها ، راحلاً
إلى ميلان . فوجد انجيلا التي أحبها ، منذ بعيد ، حباً صامتاً ،
وقد تزوّجت . فاتصل بها ، وأفضى إليها أنه أحبها ،
وأن حبه ظل في أعماق قلبه ، فذكرت بعد لأي ، هذا
الفتى المتدفق فرحاً وغبطة ، الذي كانت تسمية لدمامته

«الصيني» ، وسألته بدهشة : «ولماذا لم تخبرني أنك
تجنبي ؟» . فتلعثم ستاندا ل ، وطفى عليه الحياء ، فصمت .
وبقيت انجيلا الميلا نية ، أو بالأحرى ، انجيلا التي
أبدعها خياله ، مثلاً أعلى للخليلة . سمراء ، فاتنة ، شهوى .
ويظهر أنه مذأحبها أول مرة سنة ١٨٠٠ ، إلى أن رآها
في المرة الثانية سنة ١٨١١ ، ظل يفكر فيها . فتبلورت
صورتها في نفسه ، ورآها طيف سعادة ملوؤها العذوبة
والرقة . ولكن سرعان ما عرف أنها قد خدعته . وأن
ما تخيله ، يخالف ما رآه . فصرم قلبها ، وصدف عنها .
فأدركه هوى جديد ، وأحب ماثيلد دامبوفسكا
Mathilde Dembovska . ثم تركها .

مسكين ستاندا ل ! لقد رأى عشر نساء أو أكثر ،
أحبهن ، وشغف بهن ، ولكن واحدة أو اثنتين أحبينه .
لقد كان يفتش عن النفوس الجميلة ، وكان يظن أنه وجدها ،

والحقيقة أنه أوجدها ، وصورها ، واستمد من النساء
 اللواتي عرفهن ، وقطع حياته بعيشهن ، مواد لروايته الحلوة
 فلننظر الآن كيف صور في رواياته هؤلاء النساء ،
 وكيف أظهر الحب ، بسحره ولطفه ، للناس .



الاحمر والاسود

LE ROUGE ET LE NOIR

يقول موروا : إن ستاندال ، كان يبدع ابطاله ليرضي
نفسه وهواه ، قبل كل شيء . فصور ضربين من النساء . ضرب
كان يود أن يجده ~~ويحب~~ ، تتصف المرأة فيه بالركة والخفر
وبفوران الحب ، وشدة النقي ، وكتمان الهوى . ويضع
ستاندال التقوى في المرأة المحبوبة ليجعل نصر الحب ، في
التغلب على هذه التقوى . ثم يجعل المحبوبة كاملة ، ولكنها
مع ذلك ، تضعف فتتغلب عليها الهوى . وتلكم صور مدام
دُرينال Mme de Renal في رواية « الاحمر والاسود »
وكيليا كونتي Clélia Conti في « راهبة بارمة
« La charterreuse de Parme » . أما الضرب الثاني ، ففيه

المرأة التي كان يكونها لو خلق امرأة . كما تيلد في « الاحمر
 والاسود » وسانسو فورينا ، في « راهبة بارمة » ، ولا ميل
 Lamiel ، في الرواية التي تحمل هذا الاسم .
 وقاريء الاحمر والاسود ، يري البراعة التي صور بها
 البطلان . ففي زمن عودة الملكية ، بعهد الى جوليان
 صوريل Julian sorel بتأديب أولاد السيد دورينال
 M. de Rênal . وكان جوليان قروياً ، رهيف الحس ، ثابت
 الجنان ، شجاعاً ، يتدفق حماسة وعصبية لنابليون ، وحقداً
 على اعدائه ؛ وكان السيد دورينال نبيلاً من صلب ولي
 العهد ، تزوج امرأة اوتيت رقة بالغاء ، وحساسة مفرطة
 فابتهجت عندما علمت أن جوليان قروي حقير ، وأنه غرض
 الالهاب ، يخيل أنه فتاه خفيرة متذكرة بلباس الرجال ،
 وكان جوليان يمتعتها ، لأنها زوج غني كبير ، ولأنها كانت
 صامتة ، كأن في صمتها احتقاراً لمن تراه
 وكان السيد دورينال يرعى زوجته ويخفض لها جناحه

من اللطف ، ويرى أن من الطبيعي أن تكون مخلصه له ،
أما هي فكانت لا تحبه ، وكانت تعتقد أن ليس في
الرجال واحد لا يشبه زوجها ، وأنهم جميعاً غلاظ ، جفاة لا
يرقون إلا عندما يلمحون المطامع أو تمد اليهم أعناق الاموال .
ولو أنها كانت من باريس ، وكانت قرأت الروايات
لا دركت إذ رأت جوليان ، أن في بقاء هذا الفتى معها
خطراً عليها ، ولكن فيم الخوف ؟ إنها لم تبُل الحب قط ، ثم
هي لا تعرفه ، وهي يجهلها هذا تسعد بالقرب من جوليان
ثم فطنت لميلها اليه عندما ودّت خادمها لو تتزوج جوليان
عندئذ غضبت مدام درينال ، وساءلت نفسها أأكون
حبا لجوليان ؟ إنها في آن معاً ، سعيدة قلقة . كل شيء
تراه ، يخيل اليها أنه جديد . . حتى البراري . وأخذ
إعجابها بجوليان يزداد . . وبدأ التبلور ، وحدث ذات
مساء أن لمس يد مدام درينال ، والظلام منشور في الحديقة
فافلتت اليد منه بسرعة ، وفكر جوليان أن من واجبه

أن يبلغ من مدام دُرِينال مبلغاً ، لا تفلت معه يدها منه
إذا لمسها . وأقبل إلى الحديقة في اليوم الثاني وكأنه مقبل
ليقاتل عدواً . وما كاد يعبس الليل حتى امسك
بيدها ، فافلتت منه ، ولكنه ، قبض عليها مرة ثانية ، وهو
لا يدري ما يفعل .

وجهدت أن تنزعها منه ، ولكن عبثاً ، وظلت يدها
بين كفيه .

وغمر السرور نفس جوليان . لقد شعر أنه قد ظفر ،
وأن عذاباً مؤلماً قد تولى عنه . أما هي ، فقد كانت ،
وبداها في كفي جوليان ، تلذ وتتمتع ؛ لا تفكر
في شيء . لقد خيل إليها أن شغفها به شيء لا عجب فيه ،
ولذلك فقد حلي لها أن تدع يديها ، وأن تلذ . حتى أنها
كانت ، إذا لجأها أمر عارض إلى سحب يديها ، عادت
فأرجعتهما إليه ، بيسر

لقد تساءلت مدام دُرِينال «ماذا أصابني؟ أأحببت أم

أني سأحب؟ وأنا امرأة ذات بعل ! أأصبح عاشقة؟ لكنني ما
شعرت قط ، لزوجي بمثل ما اشعر به نحو جوليان الذي
أفكر فيه دائماً .. »

لقد شعرت بالسعادة . أحست بنور يغمر روحها ،
فتذوق به ألواناً من الاحاسيس اللطيفة العذبة ، فلان كل شيء
حلو ، لذ ، ممتع ، في عينيها . وهي مطمئنة ، راضية ، لا
تفكر في شيء ، ولا يخطر المستقبل في ذهنها .

ورأى جوليان حبها إياه ، . ففرض عليها ما يشاء ..
« سيدتي ، هذه الليلة ، في الساعة الثانية ، سآتي إلى
مخدعك ! » وعندما تدق الساعة الثانية ، كان يشعر أن
عليه واجباً يجب أدائه ، فيهب .. ويستبق الخطو إليها .
فاذا ترك مخدعها ، شعر أنه قد شفى نفسه ، وأن ليس
له قط ما يرغب فيه ، اما مدام دُرِينال ، فسعيدة ؛ بلغت
سعادتها مبلغاً لا يوصف ، ولا يصدق إذا وصف ،
وكانت حياتها النعيم والجحيم ، جميعاً عندما يغيب

جوليان ، ونعيماً إذا كانت بين يديه .

وتيقظ ضميرها ، ورأت ما أقدمت عليه ، ولكنها لم
تأسف على ما بدر منها ؛ لقد قالت له : « أنا في عذاب
شديد ، عذاب لا يطاق احتماله ، إنك لغض العود ؛ ولقد
اذنعت لسلطان خلافاً ، إن الله قادر على أن يعفو عنك
أما أنا ، قد أسلمت للعذاب . إني أخاف ؛ من ذا الذي لا
يفرق أمام رؤية الجحيم ، ولكني ، في الحقيقة ، لا ألوم
نفسي ، وسأخطي خطيئتي مرة ثانية ، إذا كان لي أن
ارتكبها »

ويلغظ الخدم بما يلمحون ويسمعون ، ويكتب أعداء
السيد رينال ، الرسائل المغفلات ، ويغمزون منه بها ،
ونعلم مدام دُرِينال ، فتحفظ جأشها وتظل حاضرة الذهن
قوية القلب ، تدود عن شرفها ، وتضمن الطهارة لحييها
وليس أعجب من هذه اليقظة عند النساء عندما يحين وبعلمن
أن أمرهن قد فضح ، حتى ليخيل إلى من يراهن ، أنهن

بريئات بل نقيات . وقد لاحظ بيرون هذه اليقظة من قبل .
ويخاف جوليان على نفسه ، وبدهش لم رأى مدام دُرِينال ،
ويعجبه سلوكها ، وتظاهرها بالصرامة والتقوى ، ويسألها
زورة واحدة أخرى ، فلا تجيبه .

وضاق السيد دُرِينال بجوليان ذرعاً ، واضطره أن يرحل
عن منزله . . فرحل ، تاركاً مدام دُرِينال ، قاصداً باريس

وفي باريس يعين أمين سر للمركيز دلامول
Marquis de la Mole ويعرف ضحية جديدة ، هي ابنة
المركيز ، ماتيلد دلامول Matilde de la Mole وكانت
ماتيلد ذات جمال فاتن ، شقراء خلابة ، ركبت تركيباً
بديعاً . ففي المرة الاولى التي رآها جوليان فيها ، لم تعجبه
ورغم ذلك ، اعترف أنه ما رأى قط عينين أحلى من عينيها
ولكنه لمح فيها ما ينبئ عن تبدل وميل إلى الكسل ،
ولقد كانت ماتيلد عجيبة ، نشئت نشأة دينية ، ولكنها

رغم ذلك نقرأ ما يكتبه فولتير الملحد، وكانت تحتقر
كل من يحيط بها من الرجال، وتوى أنها أرفع منهم ذكاء
وعلماً، إلا هذا الفتى الجديد . . جوليان، فكانه ليس
كأولئك . .

وظلت ماتيلد بغیضة إلى جوليان، وظل بادي بدء
يقول: ما ابغضها في قلبي!

وعبثاً كانت ماتيلد تشيد بحاسن رؤسها لارضاء
جوليان، فقد كان يظل صامتاً ينظر نظرات حادة . لقد
كان من عادتها هي أن تنظر إلى الناس هذه النظرات،
فكان عجبها شديداً عندما لاقت من جوليان ذلك،
وشعرت أنها حقير في عينيه، وأنها لا تستطيع أن تحتقره
ثم انها لا تقوى على نظراته، فهي تخاف منها:

وكان جوليان يذكر مدام دُرينال كلما نظر إلى ماتيلد:
يذكر سحرها وسذاجتها، فيأسف على ما ضاع منه؛ فقد
كانت تلقاه بالوجه الضاحك، والبشر الدائم، أما

اليوم فلا يرى هنا غير زهو وعبوس وكبرياء .
 ولكن هذا الاعراض عنها ، كان في الحقيقة مبدأ
 « التبلور » عنده . فقد كان يفكر فيها ، وفيما يراه منها ،
 ويدع عقله الباطن يزينها ، حتى أتى يوم صاح فيه :
 « اللهم ! ما أجملها ! .. شد ما تلذني عيناها النجلاوان
 من قرب وهما تنظران الي » .

وتيقظ الهوى في نفسه ، وتساءل « أأتجني ؟ » وخامره
 الشك ، حتى بثته حبها ذات يوم ، فاهتز وطرب ، وحق
 لهذا القروي أن يهتز ، إذ رأى فتاة نبيلة تحبه .
 وتملك ما تبذل عاطفة حب مشبوب ، وهوى محرق
 لقد كانت ذات نفس سامية ، لو لا هذه الكبرياء التي
 لوثتها . وما لها لا تحب ، وهي واحدة من نساء اسرة لامول
 المنحدرة من لامول الاكبر الذي عاش في القرن السادس
 عشر . إنها امرأة من نساء عصر النهضة ، إن لم تكنها
 فانها لتود أن تكونها . ولقد كانت تزين لنفسها أن

جوليان ذو شمائل رفيعة ، فكانت تضرب له موعداً يأتيها فيه ، ليلاً ، إلى غرفتها . فكان يسمو إليها ، إذا نام أهلها على حبل ربط بنافنتها ، لا يحفل الخطر ولا يأبه بالمر كيز ولا بخدمه ، فالحب يدفع المحب إلى الموت ، وأبطال ستاندال لا يفرقون ولا يربحون .

ويتبادلان الحب

ولكن ما أكثر اضطراب العواطف في الحب ، فالיום تفور وتطغى كلها وله وجوى ، وغداً تسكن وتهدأ ، يسها فتور . او تستحيل بعض الاحايين ، بغضاً : وهكذا ، انقلب حب ماتيلد بغضاً . ثم يعود الحب كأشد ما يكون ، وينتصر الشباب ، وتدعن الكبرياء ، وهنا تظهر السعادة على رأى ستاندال . ويشور الهوى في جسمها ، فتقص شعرها ، من أجله ، وتدع حبها يظهر قويا جياشاً ، فيعلم به من يحيط بها ، وهما لم يبق على المركزيز إلا أن يقبل بزواجهما . فتسول له نفسه أن يسأل عن جوليان آل

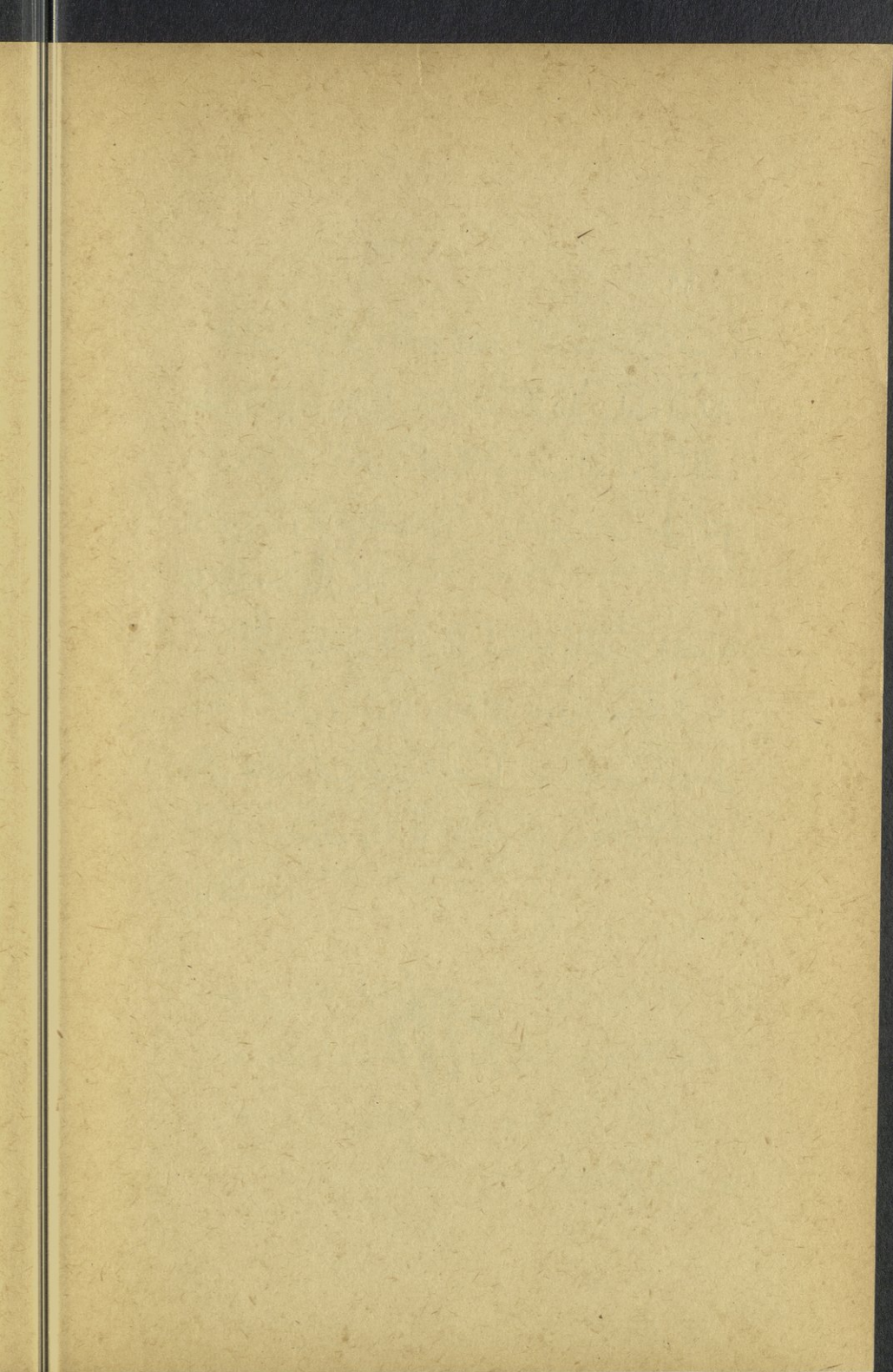
دُرِينال . فتسرع مدام دُرِينال إلى الكاهن تعترف له
 بما كان بينهما ، وتسأله ماذا تجيب . فيأمر أن تحكي ما وقع .
 ويعلم المر كيز بما كان ، فيحول دون الزواج . ويغضب
 جوليان ، فيثور ويحنق ، ثم يقصد إلى بلد السيدة دُرِينال
 ويغشى الكنيسة ، حيث كانت تصلي ، ويطلق عليها
 رصاصه ، ليقتلها ، فيمسك المصلون به ، ويودع السجن
 والحقيقة أن مدام درينال ، لم تكن للمر كيز بما كتبت
 إلا لأنها تحب جوليان ، وها هي ذي تأتي إليه في السجن
 لتزوره ، ويشعر هو ، أنه لم يجب أحداً كما أحبها ، فيندم على
 ما فعل ، ويود لو أوتي الجأش الثابت ، والصبر الطويل .
 ثم يقطع رأسه . . . ليموت .

وهنا تظهر حقيقة الحين . أما ماتيلد ، فتصبر وتتصابر
 وتوئتي القدرة على النظر إلى رأسه الذبيح ، وأن تقبل
 جبينه أيضاً . أما مدام دُرِينال ، فتحزن وتجزع ، ثم
 تموت بعد أيام ثلاثة .

فها تان صورتان ، فأيهما تفضل ؟ أما ستاندال ، فكان
 يفضل مدام درينال على ماتيلد . لقد كان يطرب لطباع ماتيلد
 ولكنه لا يحبه ، فان الكبرياء في الحب تفسده في أغلب
 الاحايين ، وتدع الخصام يثور بين المحبين ، من أجل أشاو
 تافهات ، لا شأن لها .

ولكن ستاندال ، يشني على شجاعة ماتيلد ، وشجاعة
 مدام درينال ، هذه الشجاعة التي تفوق شجاعة الرجال
 والتي يخلقها الحب القوي ، فيسهل بها الصعب ، ويذل
 العسير ، وتذوق بها المرأة العاشقة لذة وسعادة لا تعرفها
 إذا فقدتها .

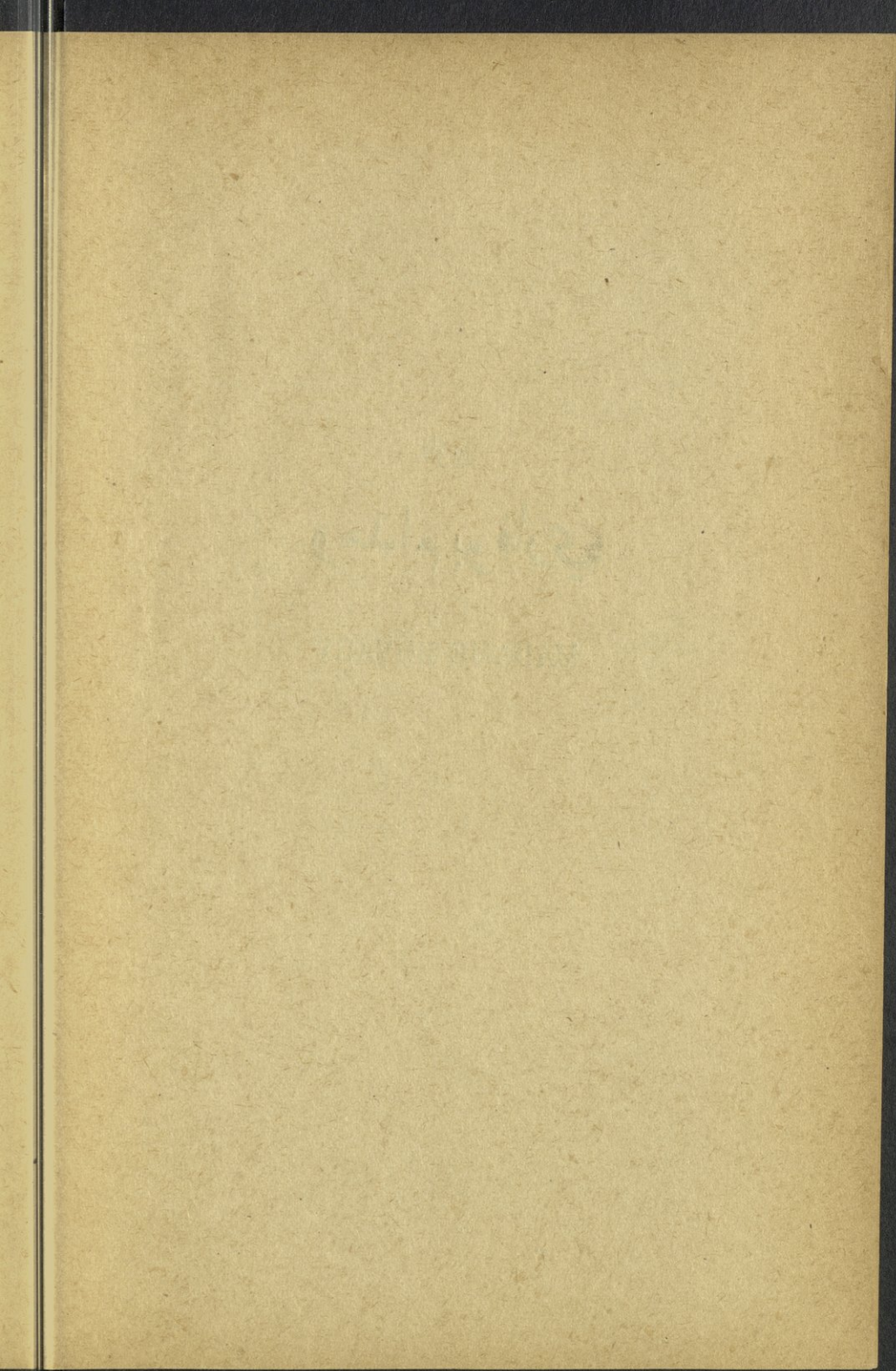




فلویر

ومدام بوفاری

MADAME BOVARY



كان فلوبيير ابن جراح شهيد من «روان» ، فنُشِئ
في أحد المشافي ، وأبصر أول ما أبصر ، جراحات المرضى ،
ودماء الجرحى ، وجشت الموتى .

و كان مدرج «أوتيل ديو» يشرف على بستانه ،
فكان يتسلق مع اخوته على عريش الدوالي ، وينظرون
بشغف ، وهم متعلقين بين أغصان الكرم ، الجثث
المعروضة .

وظل فلوبيير متأثراً بهذا المشهد الذي رآه وهو في
غضوضه عمره . ودفعه إلى تمويه أديه بصبغة من الحزن
والأسى . ولقد كتب إلى خليلته «لويز كوله» بعد
سنتين . «إن تأمل امرأة عارية ، يجعلني أفكر بهيكلها
العظمي . . . !» وهذا عجب . لأن الجسم العاري ، الذي
يقطر إغراء ولذة ، ويتحير فيه الحسن والجمال ،

لا يذكّرهُ غير عظام ناثئات يطلّ من وراءها الموت .
 على أن هذا الكاتب ، رغم هذا ، كان ينتشي
 للجمال ، بل كان يعبدّه ولا يعيش إلاّ له . كان يعتقد
 أن الجمال قد هيمن على العالم في العهد المجوسي ، وفي بلاد
 الشرق ، ولهذا كتب « سلامبو » . فلما أتت النصرانية ،
 وأدت للجمال ، في سبيل فكرة الخير . ورغم ذلك ، ظلّ
 الجمال باقياً . وإنّ الإنسان ليستطيع أن يتمتع به ،
 بايمان صوفي عميق . أما الرومانتيكية فليست جمالاً ،
 وما هي غير حلم بشع قبيح « يصفعه الواقع ويرمي به . . . »
 وتلك غاية « مدام بوّفاري » .

وكان يجب نداء آت الروح ، ووثباتها الفجائية ،
 والآهات العميقات ، وخواطر القلب .
 ولقد أعجب بهوغو ، ورابله ، وشكسبير ، ويرون ،
 وخليته اعترافات روسو . على أن هوغو كان أشدهم
 تأثيراً فيه .

وكان يعجب برواية فوست ، ويقرأها على ضفاف
السين اليسرى ، في روان ، بين الشجر العارش ، فيهتز
لها ويضطرب .

وإذا أثر فيه أوتيل ديو ، وأثر فيه هوغو ، وأطربه
غوته ، فقد أثرت فيه نساء أهجن نفسه حيناً من الزمن .
لقد لهى بمن ، فصعدن من روحه عطراً ، وتركن جراحاً ،
ودفعنه إلى كتابة رائعات خالدات .

لقد كانت لهفاته على الحب ، في ريعان شبابه ، شديدة .
صادف وهو في الخامسة عشرة من عمره ، في « ترويل »
ماري شليزنجر Marie Schlesinger ، فأوحت إليه ذكرى
حبها أن يصنع « مدام آرنو » Madame Arnoux ، المرأة
الأولى في روايته « التربية العاطفية L'Education
Sentimentale » وكان حبها إياه ، عذرياً . أما هو ، فقد
كان يومئذ لا يستطيع أن يحب إلا المرأة التي تحنو عليه
وتحميه . ولقد كان شديد الحياء . فدفع به هذا التلبّد

إلى المرض . ومسه مرض عصبي ، لا ندري كنهه ،
 أدّى به إلى العزلة عن الناس ، زمناً من حياته غير قصير .
 ثم عرف خلية أخرى ، كانت أشد أثراً فيه من غيرها
 تلك هي « لويز كوله » Louise Colet فائنة الكتاب
 والشعراء ، التي أحبها الكبر الأدباء ، في ذلك العصر .
 والحق أنها كانت امرأة عجباً ، بارعة الجمال خلوب
 الحسن ، وكانت رقيق العواطف تنظم الشعر ، وتسخر
 نعومة شعرها الأشقر وسحر عينيها الخلوتين ، وصفاء لونها
 الوردي ، لتنشر اشعارها . ولقد كانت خلية كوزان
 وهوغو ، ودفيني ، وموسه ، واستطاعت أن تستغل ود
 هؤلاء إياها لتمال جائزة الشعر ، التي كان أولئك الشعراء
 يهبونها لمن أجاد في النظم ، أربع مرات

صادف فلويير هذه المرأة سنة ١٨٤٦ أول مرة ، وكان
 في الخامسة والعشرين من عمره ، ثم أوضحت بعد شهرين
 من لقاءها الاول ربيطته ، فأحبها حباً عنيفاً قوياً ، خالط

لحمه ودمه ، وأحبته هي أيضاً ، ولكن أغضبتة سريعا ،
لقد كان يحسب أنه سيجدها امرأة ذات خلق لا يشبه
خلق النساء ، ولكنه خاب حسبانته .

« كنتُ أحسب أنني سأجد فيك معنى أكثر شمولا
للحياة . . » بهذا ناداها بعدئذ ، وقد شعر بالخيبة .

والحق أنها خيبة مؤلمة ، خيبة كل عاشق يقترب من
حبيبته ، فلا يجد فيها ما كان يأمله ، صدمة الخيال المبدع
بالواقع المشوه البشع

أين رسائله الأولى إليها ؟

« قبل اثنتي عشرة ساعة ، كنا ما نزال معا . ما أطول
مدة افتراقنا ! الليلة دافئة رقيقة ، اني أستمع إلى حفيف
شجرة السوسن الأمير كي تحت نافذتي . . لقد فرغت من
ترتيب كل ما أعطيته . . . إن رسالتك في العتيدة
ذات الوشي ، سأعيد قراءتها عندما أفرغ من رسالتي . .
أنت المرأة الوحيد التي أحببت . . . »

ولكن ، بعد هذه النجوى الناعمة ، وهذا الاعتراف
الرقيق ، يأتي الحجر والقطيعة ..

والظاهر أن فلوبير كان ذا خلق شاذ ، فشأنه في
حبه ، كشأنه في صداقته ، تجده جال في الطبع ، سريع
الغضب ، غليظ القلب ، قادر على إثارة ثورات عنيفات
ولقد كانت لويز تتحدث بعد القطيعة ، عن ذاته الغريبة ،
«المستمرة النمو في العزلة ..» وعن المخلوق الذي كان
يريد أن يكون له عليها سلطان لا يقاوم .

وتهاجر الحبيبان ، فثارت لويز وغضب فلوبير . ولكن
الحق أن لويز أوحى إليه عناصر أثر خالد ، عناصر تجدها
في مدام بوفاري ، هذه القصة التي جاءت من حيث لا يشعر
فقد علم فلوبير يوماً أن دلامار تلميذ أبيه ، وطبيب
إحدى القرى ، تزوج فتاة اسمها دلفين ، فابغضته
واحتقرته . وكانت طياشة مزهوة ، لا تعرف التدبير ولا
الترتيب ، فساء نظام بيتها ، ولحقها العشاق إذ كانت

تسعى وراء لذتها ، ثم صدف عنها هؤلاء ، وتبعها الدائنون
 يطالبونها بالدين ، فتجرعت السم فماتت وخلفت وراءها
 بنتاً لئلاماً . فيأس هذا . وقد آلمه ما كان يسمع عن
 زوجه ، فقتل نفسه

فهذه القصة التي سمعها ، راقته كثيراً . وكان يرغب
 في تكبير الأشاوي الصغيرة ، وفي تأليف كتاب من
 لا شيء . . . فأخذ القصة واستمد من حياته مع لوزمادة
 يعرفها ، وبدأ يكتب مدام بوقاري .



مدام بوفاري

كان شارل بوفاري، طبيباً أرملاً في إحدى القرى .
صادف يوماً « ايمما Emma » ابنة الأب «روأو Rouault»
المزارع النورماندي . فبهرتة ببياض أظافرها اللامعة ،
وبحلاوة عينيها الدعجاوين ، ذات الأهداب الطوال ،
التي تخيل ، بظلالها ، أن العينين سوداوان . وسحرته بنظرها
الفاتنة التي تنفذ إلى أعماق قلبك ، وبعنقها الأجل ، ثم
بوجنتيها اللتين استعار منها الورد لونه .

وتمنى أن يتزوجها ، وأراد الأب ما تمناه الطبيب .
وهذا قلب ايمما اليه ؛ فلقد كانت ملته حياة البراري ، ولعلمها
أن تجد في هذا الطبيب الأبد ، رغبة أحلامها . هذه
الأحلام التي صاحبها ، وسكنت إليها ، فجعلتها رومانتيكية
المشاعر . . ودفعها أن تشتهي ، أمراً ، لم يفهمه أبوها

هو أن تُزَفَّ إلى زوجها ، في منتصف الليل ، والظلام
شامل ، على أضواء المشاعل ...

وتزوجت إيمان ، ولكن خاب ما أملت .

لقد حسبت قبل أن تتزوج ، أن الحب قد مسها ،
وكانت تقرأ ما يورثه الحب من هناءة ولذة وسعادة ، فلما
رأت أن السعادة التي كان ينبغي أن تنتج عن حبها
وزواجها ، لم تأت ، أخذت تفكر أنها خدعت ، فطفت
تبحث ، لتعرف عما كان يُفهم ، على الدقة ، من كلمات :
السعادة ، والحب ، والنشوة ، التي كانت تبدو لعينها
جميلة في الكتب .

مسكينة مدام بورفاري ! لقد تمثلت الحياة من الكتب
ولم تدر ما فيها . « كانت قرأت بول وفرجينى ، وحلمت
بكوخ من الخيزران ، وبالزنجي دومينيكو ، وبالكلب
الامين . وحلمت على الاخص ، بالصدقة العذبة من أخ صغير ،
بذهب ليفتش عن ثمار حمراء ، من الشجرات الكبيرة .. »

أو يجري ، وقدماه عاربتان ، فوق الرمال ، حاملا عش
عصفور ٠٠»

أما حياة البرية النورماندية ، حيث تعيش ، فما كانت
توحي اليها شيئاً ، ولا يخفق لها قلبها ، وإنها لتعرف كل ما
فيها ، فهنا الغنم ، وثغائرها ، وما يصنع من ألبانها ، ثم
المحارث ، وما يفيدون منها . ولقد كانت اعتادت رؤية
المنظر الهادئة ، فهي تهفو إلى مناظر صاخبة ، وكانت
لا تحب البحر ، إلا لوصفه ، ولا تحب الحضرة إلا إذا كانت
بين الخرائب والظلول ، وكانت ذات طبع ، أشد رقة من
فنان ٠٠٠

حياة الحب ، كما تصفها الروايات ؛ وحدها تهزها
وتعريها . فكانت تطير في عوالم واجواء ، وتمخيل خيالات
وتتمنى أمنيات ٠٠ تنظر إلى دنيا « ما فيها غير أهواء
وعشاق ، ومحوبات ونساء ، لاقين الجور والظلم والاضطهاد
يعمى عليهن في بيوت محاطة ببساتين منعزلات ، ورسل

بريد يقتلون في كل مرحلة . . وغابات مظلمات . .
 وقلوب هاجسات ، وعهود وعبرات ، ودموع وقبالات ،
 وزراق تجري في ضوء القمر ، وعنادل تغرد بين لفائف
 الشجر ، وسادة بواسل كالأسود ، لطاف كالحملان ،
 أعفة كالأبكار . . »

وحتى المشاهد التي كانت تؤثرها ، هي مشاهد
 رومانتيكية . . فمشهد يرى فيه وراء الدرابزون ، في
 روشن ، رجل برداء قصير ، يضم بين ذراعيه فتاة تلبس
 ثوبا أبيض ، تحمل في زنارها هميانا . أو صور نساء انجليزيات
 شعورهن الشقر مزرفنات ، ينظرن إليك بأعينهن النجل
 الصافيات ، من تحت قبعاتهن القش المدورات أو مشاهد
 شاحبات ، لمناطق غريبات رائعات ، تربنا شجر النخيل
 والصنوبر . يظهر فيها على اليمين أنمار وعلى الشمال آساد ،
 وتبدو مآذن تتريه في الأفق . . . وفي الأمام خرائب
 الرومان ، ثم جمال جثثهم ، وكل ذلك في غابة عذراء . .

فتلكم ، كانت تخیلات إیما قبل الزواج .

فلما صادفت شارل ، وكان الرجل الفرد الذی استطاعت أن تلقاه بصداقة عند أبيها ، لأنه طیب ، حسبت أنها ستلقى فیہ ما تخیلته وما تمثله من الصور والموسیقی والروایات ، واعتقدت أنها ستحیا معه الحیاة التي كانت تلمحها فی أحلامها ، وأنها ستذوق طعم الحب الساحر ، فلما تزوجها ، لم نستطع أن نؤمن أن هذا الهدوء الذی یحیط بها ، هو النعم الذی تخیلته .

وبدلاً من أن نقضي حیاتها هادئة رافیه ، ظلت تفکر وتحم ، فهي تحلم بالرحلات الطوال ، وبالنواقیس الهاتفات ، وبهدیر الشلالات فی الجبال ، وبالخلجان المفعم جوها بعبق شجر الليمون ، فلو أن شارل استطاع أن یرحل معها ما رغبت فیہ من رحلات ، بل لو أنه قص علیها طرائف عنها فلربما سعدت بذلك . ولكن کیف تسعد أم کیف ترضی ، وإن حدیث شارل لساذج لا تطرب إلیه نفسها ، وهو لا

يعرف ما تأمل ، ليهدهد آمالها بكلمات عذاب تفتنها ،
ولا يدرك عصفات هواها ليروّيها ، إذا عصفت ، هواه .
لقد ضيّع أحلامها وأي أحلام ضيّع !

وعندئذ قنعت إيمانها من الحب ؛ لون تمثاته من خلال
الكتب والروايات . وهو حب مزر كش فائن . . هو
ما حلم به فلو يبر أيام صباه أيام تنفى الخطايا المصريات
ليبل بهن ظلاً شهواته المحرقات .

ثم أدر كها اليأس ، فنادت : « اللهم لم تزوجت ؟ »
وتساءلت أما كان في الامكان أن تلاقي رجلاً آخر غير
هذا الذي رأته ؟ لقد تيقنت أن الرجال جميعاً ،
لا يشبهون زوجها ، إنه غريب ! ثم قالت : أيوجد
الحب حقاً ؟ وإذا وجد فكيف يكون ؟ ما شكله وما
طعمه وما وصفه ؟ فلتبحث إذن ، فلعلها تقع على ضالتها .
وأخذت تفتش حولها ، فصادفت شامساً اسمه ليون .

وكان فتى هيبان ، فحدثته وحدثها

وسأله : أتنزّهت في الضواحي ؟

فأجابها ، بأنه ذاهب ليشهد غروب الشمس .

فقلت إني لا أجد شيئاً أبهر من منظر الشمس الغاربة

وخاصة على سيف البحر !

قال ليون : اوه ! إني لأعشق البحر !

فتابعت قولها : أفلا يخيل إليك أن الفكر يرفرف بحرية

فوق هذه الفسحة التي لاحد لها ، والتي تسمو روحنا ، بالتأمل

بها ، فتوحي إلينا خواطر اللانهاية والمثل الأعلى . . .

قال ليون : وإن الأمر نفسه يكون في مناظر

الجبال .

وشعر أن عاطفة فتوراً حلوة واحدة قد غشيتهما . ولذت هما

عذوبة هذا الفتور ، فنعما . . . لا يقلقهما ما غيب عنهما . . .

وأعجبها ، وأضحى حبيبها . ولكن ترك يونفيل دون

أن يجرؤ على حبها .

وأجالت الطرف حولها فأملت أن تجد في رجل اسمه

رودولف ، رغبة نفسها . وكان رودولف ، رجلاً نشيطاً
 قوياً ، ذا طبع جاف . وكان قد عرف نساءً كثيرات .
 وقد خبر أخلاقهن . فرآها جميلة غضة ، وبدا له زوجها قد
 مسه طرف من بلاهة ، فعزم على أن يغزوه . . . واغتصم
 يوماً فرصة وجوده بجانبها في عيد زراعي ، اقيم في يونفيل ،
 فكلّمها ، والناس بتوزيع الجوائز لاهون . وهمس في أذنها
 مغازلات الحب الناعمة ، فانقادت له ، وبينما يظهر رودولف هنا
 واقعياً ، تظل مدام بوفاري خيالية ، تنقاد لعواطفها .
 ومع ذلك فقد أحبته

وانصرفت لنوال أفراح الحب ، وذواق حمى النعيم ،
 وغرقت في أمور رائعات ، فيها النشوة واللذة والهوى ،
 بينما كان هناك حلم يرف في خاطرها ويلح عليها ، وبغيب
 عنها ثم يعاودها ، هو أن ترحل رحلة طويلة مع رودولف
 وما زالت تسأله ذلك ، حتى أجابها . فرحلا قاصدين بلاداً
 جديدة .

وانطلقا بتمتعان... فكانا يشاهدان أحيانا ، من قمم
الجبال مدينة عظيمة ، تبدو قبيها ، وأهاضيها ، وسفنها ،
وغابات ليمونها ، وكنائسها ذات الرخام الأبيض ،
والنواويس الحوامل أعشاش الكراكي ، فيبتهجان . وكانا
يمشيان تارة على أقدامهما ، ينظران في الأرض إلى باقات
مشورة من الازهار... حتى وصلا ذات مساء إلى قرية صيادين
فحطا الرحال ليعيشا... واتخذوا فيها مسكنا واطئا ،
ذا سقف مبسوط تظله نخلة ، في صدر خليج ، على شاطئ
البحر . وكانا يتنزهان في الجندول ويتأرجحان في
الأرجوحة .

وتحاول إيمان أن تجعل رودولف ، البطل الذي أحبته
في بيرون . وكان رودولف يستطيع أن يقوم بما تريد
إيمان ، فلقد كان ذكيا ، وكان قد قرأ مغامرات العشاق وأحلام
الشعراء قليلا ، ولكن الأمر الذي لا يستطيعه ، هو أن
تتفق ثورات هواها مع ثورات هواه دائما ، وأن يجد

قلبها إذا صرخ أو نادى ، قلباً يحببه عما يريد ويشتهي
وأن يحمل أثقال شداًد الحب طويلاً . وظاهر أن حال
رودولف هذا ، يشبه حال فلوير نفسه مع لويز كوله .
فعندما نرى إيماناً تبكي ، وتنادي رودولف قائلة :

« أوآه ! أنت الذي أحب ، وإني لأحبك حتى لا
أستطيع أن أمضي عنك ، أو تدري ذلك ؟ إني لا هفو
إلى رؤيتك ، وغضبات الحب كلها تؤلمني ، فأسأل نفسي
« أين هو ؟ لعله يتحدث إلى نساء أخريات ؟ ولعلهن
يلسمن له ، فيقترب منهن . . . » آه ، كلا أنت لا تفعل
هذا ، أليس الأمر كذلك ، أنت لا تطرب لواحدة
منهن . إن بينهن أجمل مني ، ولكني أكثر معرفة
منهن بالحب . أنا مولاتك وخليتك . أنت سيدي
ومعودي . إنك لطيب الخلق ، وإنك لذكي . . قوي . . »
أقول ، عندما نسمع هذا ، نعلم ما كانت عليه لويز ،
ونقدر ما كان يكون جواب فلوير عنه .

على أن رودولف لا تهزه هذه الكلمات ، فقد سمع
 مثلها من قبل ؛ حتى إيمانها نفسها ، ما هي في عينيه إلا خلية تشابه
 الخيالات الباقيات . لأن الحب لا يبدو حلواً إلا في
 طرافته ، أيام يكون وليداً ، فاذا زالت الجدة ، ظهرت
 رتبة الحب ، وما فيها من عواطف وكلمات وألوان
 متشابهة .

ومل رودولف ، ولم ترو . إنها تنزع في الخيال ،
 وتتيه في الأحلام ، وتفكر في تحقيق ما حامت به . وهذا
 أمر صعب إدراكه ، عسر نواله .
 وفكر في القطيعة .

هنا تبدو أزمة شديدة في حياة إيمان بوفاري . إنها ما
 تزال تصادف الخيبة والفشل كلما ركنت إلى الحلم . ولقد
 كانت تؤمل أن الحب على طريقة الأحلام وحدها موجود
 ولقد آمنت بذلك . فما لها تفشل من حين إلى حين ؟

وتبدأ الرواية بالانحدار ، كما يلاحظ فأكه ، بعد
تصاعد العواطف الشديد . وتأخذ في وصف ما تؤول
إليه حال امرأة عاشت في الأوهام ، وخافت من الواقع
وابتعدت عنه . إنها الآن تحاول أن تسلو آلامها بما يهيج
حواسها ، ويشير لذتها . ثم تدعن للواقع ، فتعود إلى زوجها
وتجهد أن تحبه ، وأن تجعله رجلاً عظيماً ، ولكن عملية
جراحية أجراها قضت على آماله ولو نجح لكان نال السعادة .
منذ ذلك اليوم يأسَت ايما . إلى من تلجأ ؟ ومن تحب ؟
ومن ذا الذي يعجبها في هذه القرية ؟ الصيدلاني هومه ؟
إنه ثرثار هذا المشهور . أم الكاهن بورنيزيان ، وهو ذو
نفس لم تسمُ بعد !

وترحل إلى روان ، وتصادف ليون ، الشماس الشاب
الذي فر من يونفيل ولم يجرؤ أن يبادلها الحب ، وتصبح
هنا خليلته ، وتريد أن تلذ . ولكنها خابت أيضاً ، إنها ما

زالت توئمل أن تسمع أحلام الشعراء . وأن تتحدث
عن الزهور والطور ، والقمر والنجوم . . تحاول بذلك
أن تؤرث حباً ضعيفاً لا حياة فيه .

وألمت ألماً شديداً . . روح وثابة تعلقت بالأحلام ،
وفشل مستمر يثير الأحزان . وبين الواقع والحلم مدى
سحيق . لقد ودت العيش في أجواء الشعراء ، وهي ما
تزال تعاند وتكابر . فلتسلم نفسها لمن يريد أن يلذ ، لأنها
بذلك تلذ . ولتنعم بكل شيء : بالطور وبالزهور ، وبألم كل
والخمر ، وبالملايس والستور ، ولتنفق الأموال بلا
حساب ، لتثقل كاهلها بعد ذلك الديون . ولتبحث عن
منقذ فلا تجد ، ولتزد اليأس ، وتتحطم الأحلام !

الديون تزيد ، والدائنون يطالبون ، والأصحاب
يفرون ؛ حتى رودولف ، حاولت أن تبقى عنده ، فأبعدها
حتى إذا بلغ اليأس مبلغاً لم نطقه ، دخلت صيدلية «هومه»

فسرقت سماء ، فتجرحته ، فماتت ميتة كلها عذاب مؤلم
 شديد ؛ عذاب يناسب الجرائم الجسدية التي اقترفتها .
 لقد أماتها الحب ، على رأي فلوبيير . ولقد ماتت لأنها
 رفضت الحياة ، وأرادت ، على قول موروا ، أن تحيا
 في الأحلام .

تلك مأساة العذارى والفساء نستمع إليها كل يوم .
 حتى لكأن كل امرأة تحاكي مدام بوفاري . ولكن
 وآ أسفاه ما أضيع عمرهن إلا أن طرافة الحلم تغري وحلاوة
 الخيال تغوي ، ولا يبقى بعد ذلك إلا الحقيقة المؤلمة
 والواقع الجاف .

انتهى القسم الأول من كتاب

نساء عاشقات

في أول إبريل ١٩٤٥

١٩٤٥ - ١٩٥٦

الفهرست

ص	إلى القاريء
٧	الأُميرة دُكليف
١١	هيلوئيز الجديدة
٢٤	ستاندال والحب
٤٣	الأحمر والأسود
٥٨	فلوبيير والنساء
٧٣	مدام بوقاري
٨٠	الفهرست
٩٥	

مَنَشُورَاتِ اصْدِقَاءِ الْكِتَابِ

سلسلة ثقافية

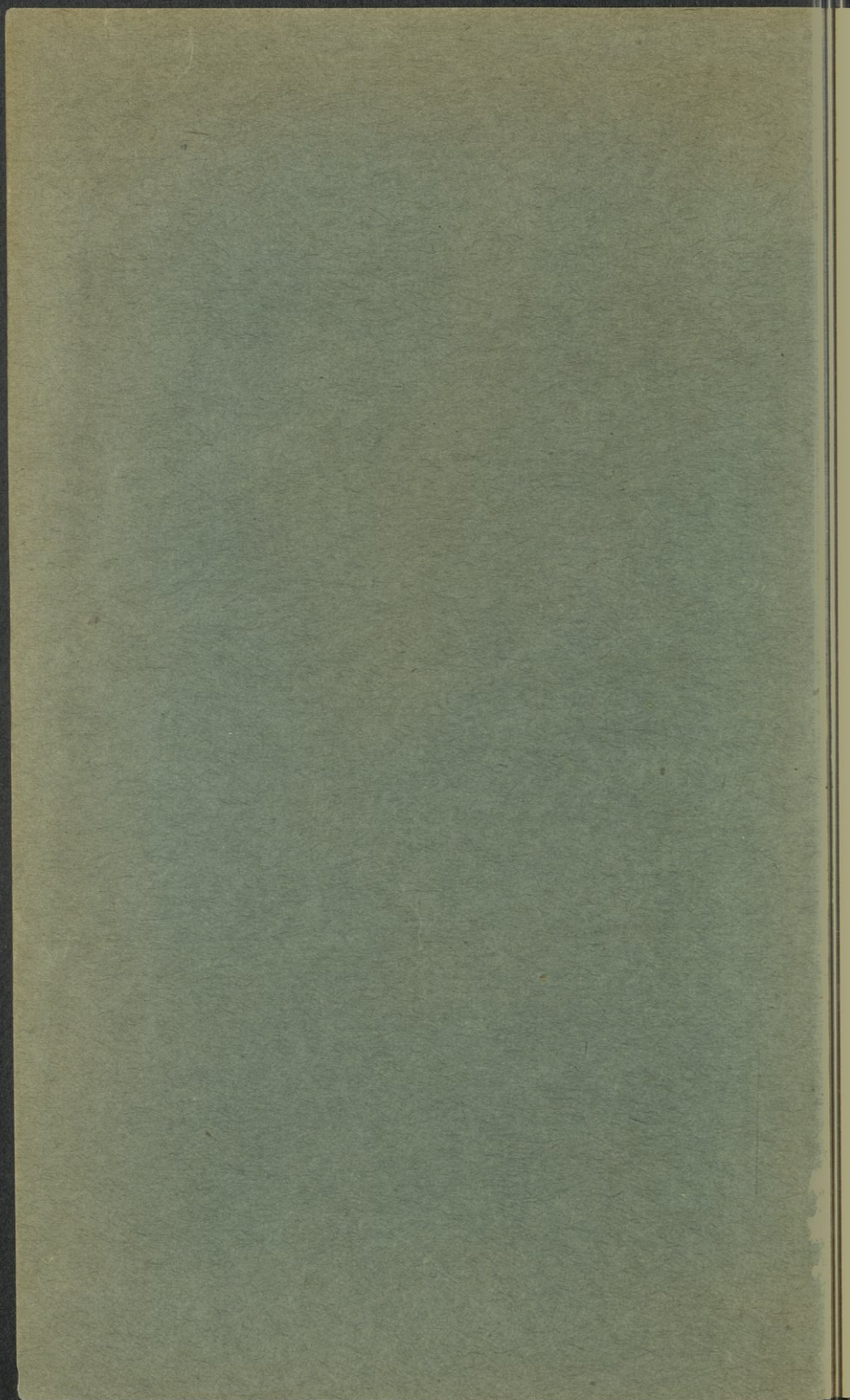
يحررها ذوو الاختصاص من
كبار الأدباء والعلماء والمؤلفين

صدر منها

١ - النابغة الذبياني للأستاذ سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي

٢ - نساء عاشقات للأستاذ صلاح الدين المنجد





AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00065781

American University of Beirut



843.08
M96m A

General Library

843.08
M96nA
C.1